

بأقى المحاضرات التى لم تدرس بالكلية

المحاضرة الاولى :

جامع الناصر محمد بالقلعة :

الموقع : يقع في القسم الجنوبي الغربي من القلعة أمام مسجد محمد علي .

المنشئ وتاريخ الإنشاء : شيده السلطان الناصر محمد بن قلاوون أثناء سلطنته الثالثة في سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م وأعاد بناء بعض أجزائه وتجديده في سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م ، وهذا المسجد يقع فوق أطلال جامع قديم من تشييد السلطان الملك الكامل في العصر الأيوبي ، إذ يروي المقرئ تحت عنوان الجامع بالقلعة : " هذا الجامع أنشأه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان قبل ذلك هناك جامع دون هذا ، فهدمه السلطان وهدم المطبخ والحوائجخانه ، والفراشخانه وعمله جامعاً ثم أخريه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وبناه هذا البناء فلما تم بناؤه جلس فيه واستدعى مؤذني القاهرة ومصر وجميع القراء والخطباء ، وعرضوا بين يديه ، وسمع تأذنيهم وخطاباتهم وقراءاتهم فاختر منهم عشرين مؤذناً رتبهم فيه ، وقرر فيه درس فقه ، وقارئاً يقرأ في المصحف ، وجعل عليه أوقافاً تكفيه وتفيض ، وصار من بعده من الملوك يخرجون أيام الجمع إلى هذا الجامع ويحضر خاصة الأمراء معه من القصر ويجئ باقيهم من باب الجامع . فيصلي السلطان عن يمين المحراب في مقصورة خاصة به ويجلس عنده أكبر خاصته ، ويصلي معه الأمراء خاصتهم وعامتهم خارج المقصورة عن يمينها ويسرتها على مراتبهم فإذا انقضت الصلاة دخل المقصورة ودور حرمه وتفرق كل أحد إلى مكانه " وأضاف أيضاً أن " هذا الجامع متسع الأرجاء مرتفع البناء مفروش الأرض بالرخام مبطن السقوف بالذهب ويصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هي والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه رواقات من جهاته " .

ونجد نفس المعنى أيضاً في كتاب صبح الأعشى للقلقشندي الذي أشار أنه من أعظم الجوامع وأحسنها وأبهجها نظراً وأكثرهم زخرفة ، متسع الأرجاء مرتفع البناء مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مبطن السقوف بالذهب ، في وسطه قبة يليها مقصورة يصلي فيها السلطان الجمعة مستورة هي والرواقات المشتملة عليها بشبابيك من حديد محكمة الصنع ، يحف بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة ودور الحريم السلطانية " .

ويحدثنا المؤرخ ابن أبيك الدوادر بدوره عن تجديد السلطان الناصر محمد لهذا الجامع وإعادة بنائه في حوادث سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٥م فيقول أنه في هذه السنة " برزت المراسيم الشريفة بهدم الجامع الذي أنشأه السلطان عز نصره بالقلعة المحروسة وأن يجدد بناءه فهدم جميع ما كان من داخله من الرواقات والمقصورة والمحراب وجدد بناءه بما لم تر العيون أحسن منه وأعلى قناطر الرواقات إعلاء شاهقاً ، وكذلك القبة أعلاها حتى عادت في ارتفاع ، وأحضر لهذا الجامع أعمدة عظيمة كانت منسية بمدينة الأشمونين بالوجه القبلي ... وكانت هذه الأعمدة في البريا (؟) التي بمدينة الأشمونين من عهد الكهنة وأن نقل هذه الأعمدة من الأشياء التي حارت فيها العقول ، نقلها مولانا السلطان بأسهل ما يكون وذلك بأن ندب لهذا الأمر الأمير سيف الدين اروس بغا الناصري مشدداً بحمل هذه الأعمدة وسير في خدمته المهندسين والعتالين والحجارين وكتب للولاة بالوجه القبلي وهم والي أسيوط ومنفلوط ووالي الأشمونين ووالي البهنساوية بجمع الرجال من الأقاليم وقرر على كل وال عدة من هذه الأعمدة وجرها إلى ساحل البحر الأعظم وندب لها المراكب الخشنة ، وحملت في أوائل جريان النيل المبارك ، ولما حضرت إلى ساحل مصر انتدب لجرها الولاة بمصر والقاهرة الذين جمعوا آلافاً من الناس وكان لهم همة عظيمة حتى وصلت وأقيمت في هذا الجامع السعيد " وأضاف أيضاً عند وصفه لقبة الجامع " وعندما أعاد السلطان بناء القبة جعلها عالية شاهقة بعد أن أحضر لها الأعمدة الجرانيتية الكبار من الأشمونين وجدد المقصورة التي على يمين المحراب الذي جدد بناءه أيضاً" .

وفي أيام السلطان الأشرف قايتباي تم تجديد جامع الناصر مرتين إذ يروي المؤرخ ابن إياس أنه " في صفر سنة ٨٧٦هـ/يوليو ١٤٧١م رسم السلطان لابن الطولوني بأن يجدد عمارة الميضا التي بجامع القلعة فوسعها ، وترميم عمارة الجامع فأصرف على ذلك ألف دينار " ، كما ذكر أيضاً أنه " في رجب سنة ٨٩٣هـ / يونيو ١٤٨٨م كان انتهاء عمل القبة التي جدها السلطان بجامع القلعة عوضاً عن التي سقطت فجدها وجدد المنبر وصارت من أحسن المباني" .

ومع ذلك فقد ساءت حالة الجامع في العصر العثماني وهدمت قبته وفقد منبره ، وازداد تدهوره زمن الاحتلال البريطاني فقد استخدم كمخازن للجيش وسجناً للمتمردين في سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م وأقيمت حواجز خشبية بين الأعمدة وشيدت بداخله بعض الجدران ، وقد تمت إزالتها فيما بعد على يد أحد مهندسي جيش الاحتلال .

إلا أن العناية الحقيقية بالجامع لم تبدأ إلا في سنة ١٣٣٦هـ/١٩٤٧م عندما قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإعادة ما تهدم من جدار القبلة وغشته بوزرات رخامية ، كما جددت أيضاً المحراب الصغير على يسار المحراب الرئيسي الذي قامت بكسوته بوزرات رخامية ، وفرشت كذلك أرضية الجامع بالحجر الجيري بدلاً من الرخام الذي كان يغطي الجامع بأكمله وقت تشييده ، وقامت أيضاً بترميم المدخل الشمالي الشرقي للجامع وأعدت اللوحة التأسيسية التي تحمل تاريخ البناء الأول في سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م إلى أعلى المدخل الشمالي الغربي ، وقامت كذلك بإعادة بناء القبة أمام المحراب وعملت منبراً خشبياً على طراز منبر جامع الطنباغا المارداني، وجددت الستائر الجصية لنوافذ الجامع ، كما جددت القماقم الحجرية التي تعلو أركان الصحن واستبدلت الأعمدة التالفة بأعمدة أخرى وكست بعض أجزاء الجدران بالرخام من الداخل .

التخطيط العام والوصف المعماري :

من الخارج : يشغل الجامع مساحة مستطيلة ٦٣ × ٥٧ متراً يحيط بها أربع واجهات حجرية يسودها البساطة وتخلو من الزخارف ، الواجهة الرئيسية هي الشمالية الغربية وهي تزدان بثمانية عشرة نافذة مستطيلة معقودة ، تسع في كل جانب يعلوها شرفات نصف دائرية تذكرنا بشرفات أسوار القاهرة الفاطمية ، يتوسطها مدخل الجامع الرئيسي وهو على محور المحراب ويبرز عن سمت الجدران بحوالي متر ونصف المتر ، ويقع داخل تجويف يتوجه عقد دائري ذو ثلاثة فصوص ، ويحف به من أسفل مكسلتان من الحجر ، ويتوسط التجويف باب معقود بعقد مدبب ، ويعلوه لوحة حجرية تضم نصاً تذكاريّاً بخط الثلث المملوكي يشتمل على أربعة أسطر نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع / المبارك السعيد لوجه الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان / الشهيد قلاوون الصالح في شهور سنة ثمانية عشر وسبع مائة من الهجرة النبوية" .

ويعلو الجانب الأيسر من هذا المدخل إحدى مئذنتي الجامع ، وهي تتألف من ثلاثة طوابق حجرية تتمثل في قاعدة مربعة تنتهي بأربعة مئذنتات يعلوها طابق أسطواني يزينه زخارف بارزة من خطوط متعرجة رأسية ، ينتهي من أعلى بصفوف مقرنصة ، تحمل شرفة تلتف حول الطابق الثاني وهو بدن أسطواني أيضاً مزين بدوره بزخارف متعرجة بارزة من الأحجار ولكنها نقشت في صفوف أفقية متوازية ، يليها إلى أعلى مقرنصات تحمل شرفة ثانية أصغر حجماً تدور حول الطابق الثالث وهو على شكل رقبة مضلعة يغطيها قبة مضلعة بصلية الشكل كسيت بالقاشاني الأخضر وبشريط من كتابات نسخية قرآنية من آية الكرسي نقشت باللون الأبيض على أرضية زرقاء.

وتتسم الواجهة الشمالية الشرقية أيضاً بطابع البساطة ، وتخلو تماماً من الزخارف باستثناء تسع عشرة نافذة مستطيلة معقودة ، ويتوج الواجهة شرفات نصف دائرية أشبه بالدراوي في الأسوار الدفاعية .

وكتلة المدخل التي تتوسط هذه الواجهة الحجرية التي تبرز عن سمتها بحوالي متر ونصف المتر تقريباً يتوجها من أعلى صف من الشرفات المسننة ويتوسطها تجويف يعلوه عقد مدائني مدبب ثلاثي الفصوص ، فتح به باب معقود أيضاً بعقد مدبب يعلوه لوحة تأسيسية تضم كتابات بخط الثلث لم يتبق منها سوى سطران فقط نصهما : " أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك / السعيد سيدنا ومولانا السلطان الأعظم....".

ويشغل الركن الشرقي من هذه الواجهة برج يبرز عن سمتها استخدم كقاعدة لمئذنة الجامع الثانية ، وهي تبدو أكثر ارتفاعاً عن المئذنة الشمالية الغربية وتشتمل بدورها على ثلاثة طوابق تتمثل في قاعدة مربعة يتوجها شرفة مربعة التخطيط ترتكز على ثلاثة صفوف من المقرنصات وتلتف حول الطابق الثاني الذي يشكل بدناً أسطوانياً غفل من الزخرفة ينتهي بدوره بشرفة مستديرة تقوم فوق صفين من المقرنصات وتلتف حول الطابق الثالث الذي يتألف من ثمانية دعائم معقودة ومفتوحة يعلوها رقبة بها قنوات طويلة مفتوحة يغطيها قبة بصلية مضلعة كسيت بدورها ببلاطات من القاشاني الأخضر وبشريط من الكتابات القرآنية نقشت بخط الثلث المملوكي بلون أبيض على أرضية زرقاء .

وتذكرنا زخارف قمة هاتين المئذنتين بزخارف قبة سبيل الناصر محمد الملحق بمدرسة أبيه المنصور قلاوون بشارع المعز كما تعكس لنا أحد الأساليب الزخرفية التي شاعت في شرق العالم الاسلامي ، ليس فقط من حيث استخدام القاشاني في تغشية قمة تلك المنشآت بل أيضاً في الشكل البصلي لقمة هاتين المئذنتين.

وتعد مآذن جامع الناصر محمد بالقلعة هي بداية ما يعرف بالطراز المملوكي في المآذن المصرية.

وهذا يذكرنا بدوره برواية المقرئ بصدد قيام أحد البنائين الفرس من مدينة تبريز ببناء مئذنتي جامع الأمير قوصون في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م إذ يقول : " وكان قد حضر من بلاد توريز بناء فبنى مئذنتي هذا الجامع على مثال المئذنة التي عملها خواجا علي شاه وزير السلطان أبي سعيد في جامع بمدينة توريز " . فمن المرجح قيام نفس البناء ببناء مئذنتي جامع الناصر محمد أيضاً .

وتشتمل الواجهة الشمالية الشرقية على دعامة سائدة لتقوية الجدران في طرفها الشمالي ، لعلها أضيف أثناء تجديدات عام ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م لأن الأحجار المستخدمة في تشييدها لا تختلف عن أحجار الواجهة بل تتفق معها .

ولا تختلف الواجهة الجنوبية الغربية كثيراً عن الواجهتين السابقتين فهي مشيدة أيضاً من الحجر وتزدان في أعلاها بعشرين نافذة مستطيلة معقودة وإن شئت عنهما بوجود أكثر من دعامة سائدة حيث نجد ثلاث دعامات في الطرف الجنوبي منها ، ودعامة واحدة في الطرف الغربي. وجدير بالذكر أن هذه الدعامات الخارجية ليست لها علاقة بالعقود الداخلية للجامع التي تركز على هذه الواجهات. ويشير المقرئ إلى أنه كان يوجد بهذه الواجهة مدخل ثالث للجامع يعرف بباب النحاس كان يجتازه السلطان وهو قادم من الدور السلطانية وعند عودته ، لا وجود له في الوقت الحالي .

الجامع من الداخل : تخطيط الجامع من الداخل يتبع النظام النبوي (طراز الصحن والظلات) حيث يتكون من صحن أوسط مستطيل يبلغ طوله ٣٥,٥ متراً وعرضه ٢٣,٥ متراً تؤكد المصادر خلوه من الفوارة ، يحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة التي تشتمل على أربع بلاطات موازية لجدار القبلة يفصلها أربع بانيات تحتوي كل منها على عشرة أعمدة من الرخام أو الجرانيت ، تحمل فوقها أحد عشر عقداً مدبباً باستثناء البانيكتين الأولى والثانية التي حذف من كل منهما عمودين لإيجاد مساحة مربعة أمام المحراب يغطيها قبة ضخمة تتألف من مربع حجري يتركز على مجموعة من العقود ، ثلاثة على كل جانب ترتفع فوق عشرة أعمدة من الجرانيت ، ويشغل هذا المربع إزار من الخشب المنقوش بكتابات بخط الثلث المملوكي مذهبة ، كانت تشتمل على تاريخ إعادة بناء الجامع في عهد الناصر محمد في سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م ، يقطعها مناطق مستديرة لعلها كانت تشتمل على الرنك الكتابي للسلطان نفسه نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين صدق الله العظيم مما أمر بإنشائه مولانا السلطان الملك الناصر ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون تغمد الله برحمته وذلك في سنة خمس (وثلاثين وسبعمائة) " .

أما مناطق الانتقال فيشغلها مثلثات خشبية لكل منها خمسة صفوف من المقرنصات الملونة يفصلها في كل جانب ثلاث نوافذ متجاوزة معقودة بعقود نصف دائرية ويغشيها ستائر جصية مشغولة بزخارف هندسية مفرغة، ويغطي الجميع قبة غفل من الزخرفة كانت وقت إنشائها مكسية من الخارج ببلاطات من القاشاني الأخضر لذا عرفت عند مؤرخي العصر المملوكي بالقبعة الخضراء ، جددت عدة مرات آخرها في سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م على يد المجلس الأعلى للآثار.

ويتصدر جدار القبلة محراب كبير مجوف مجدد حديثاً يكتنفه محرابان صغيران ، كسيت جميعها بزخارف هندسية من فسيفساء رخامية دقيقة ، مطعمة بالصدف كما كانت جميع جدران القبلة مكسية بالرخام الملون إلى ارتفاع ما يقرب من خمسة أمتار ونصف المتر.

وعلى يمين المحراب الرئيسي يوجد منبر خشبي حديث من صنع لجنة حفظ الآثار العربية في سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م يشبه إلى حد كبير منبر جامع الطنباغا المارداني الذي شيد سنة ٧٤٠هـ / ١٣٤٠م ، إذ تشتمل ريشته على حشوات هندسية مجمعة طعمت بالعاج والصدف ، تشكل أطباقاً نجمية وسط عناصر متنوعة .

أما باقي ظلات الجامع فتحتوي كل منها على بانيكتين موازية لجدران كل ظلة.

وجميع عقود الجامع مشيدة من حجارة بيضاء وحمراء على التوالي (مشهر) ويعلوها صفوف من فتحات معقودة كما هو الحال في المسجد الأموي بدمشق وذلك لزيادة الإضاءة والتهوية داخل الظلات ولتخفيف الضغط على العقود والأعمدة .

ويسقف الجامع أسقف خشبية يشغلها قصب أو أحقاق مثمرة الأضلاع تشبه نظائرها في قبة المنصور قلاوون وكانت بدورها مطلية بالذهب والألوان ، وأغلب السقف الحالي من تجديد لجنة حفظ الآثار العربية.

وجميع واجهات الظلات المطلة على الصحن يعلوها شرافات مسننة ويحتل أركانها الأربعة قماقم حجرية مضلعة تنتهي بقواعد مقرنصة ، كما نقش فوق أعمدة الرواق الشمالي الغربي المطلة على الصحن مزولة شمسية وهي من عمل أحمد بن بكتمر الساقى وهي تعد من أقدم الأمثلة القائمة بمساجد مصر الإسلامية بعد مزولة جامع أحمد بن طولون التي أضيفت إليه أثناء تجديدات السلطان لاجين في سنة ١٢٩٦ هـ / ١٢٩٦ م.

قصر الأمير بشتاك :

الموقع : يقع بحارة درب قرمز المتفرعة من شارع المعز لدين الله بحي بين القصرين .

المنشئ : الأمير بشتاك الناصري من أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، اشتراه بستة آلاف درهم ، وعهد إلى الأمير قوصون الساقى بتربيته فكانت له حظوة عن الناصر محمد ، ترقى بشتاك في عدة وظائف منها أمير شيكار أي المشرف على أمور الصيد ولوازمه عند السلطان ، وتولى كذلك كاتب السر ، وكان موضع تقدير من السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكثيراً ما كان يغمره بالعطايا والهبات . وبعد وفاة الناصر محمد قبض على الأمير بشتاك واعتقل بالإسكندرية ثم قُتل في ربيع الآخر سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ، ونُقلت جثته من الإسكندرية سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ودُفن بترية سنجر الجاولي ، وكان له منشآت معمارية هامة منها قصره بشارع بين القصرين ، والحمام بسوق السلاح ، وأيضاً خانقاه ومسجد بدرب الجماميز .

تاريخ الانشاء: انتهى الأمير بشتاك من تشييده في سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٨ م ، وكان هذا القصر حسب رواية المقرئ من جملة القصر الفاطمي الكبير الشرقي ... تجاه المدرسة الكاملية ، وما زال إلى أن اشتراه الأمير بدر الدين بكتاش الفخري ، المعروف بأمر سلاح وأنشأ دوراً وإسطبلات ومساكن لحواشيه . وصار ينزل إليه هو والأمير بدر الدين بيسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلعة الجبل ... فلما مات الأمير بكتاش الفخري أمير سلاح ، وأخذ الأمير قوصون الدار البيسرية أحب الأمير بشتاك أن يكون له داراً بالقاهرة .. فأخذ يعمل في الاستيلاء على قصر بكتاش أمير سلاح حتى اشتراه من ورثته وأخذ من السلطان الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل القصر من حقوق بيت المال ، وهدم داراً كانت قد أنشئت هناك عرفت بدار قطوان الساقى ، وهدم أحد عشر مسجداً وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة الفقراء ، وأدخل ذلك في البناء إلا مسجداً فإنه عمره ويعرف اليوم بمسجد الفجل.

فجاء هذا القصر من أعظم مباني القاهرة فإن ارتفاعه في الهواء أربعون ذراعاً ونزول أساسه في الأرض مثل ذلك ، والماء يجري بأعلاه وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة ، وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين . وهو مشرف جليل مع حسن بنائه وتآلق زخرفته والمبالغة في تزويقه وترخيمه . وأنشأ أيضاً في أسفله حوانيت كان يباع فيها الحلوى وغيرها فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين ، ومن لا علم له يظن إنما قيل ذلك لهذا الشارع بين القصرين لأجل قصر بيسرى وقصر بشتاك ، وليس هذا صحيح وإنما قيل له بين القصرين قبل ذلك من حين بنيت القاهرة فإنه كان بين القصرين ، القصر الكبير الشرقي ، والقصر الصغير الغربي ... ولما أكمل بشتاك بناء هذا القصر والحوانيت التي في أسفله والخان المجاور له في سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة (١٣٣٨ م) ، لم يبارك له فيه ولا تمتع به وكان إذا نزل إليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه ما دام فيه حتى يخرج منه فترك المجئ إليه فصار يتعاهده أحياناً فيعتريه ما تقدم ذكره ، فكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقى وتداوله ورثتها إلى أخذه السلطان الملك الناصر حسن فاستقر بين أولاده إلى أن تحكم الأمير الوزير المشير جمال الدين الاستادار في مصر فأقام من شهد عند قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفي بأن هذا القصر يضر بالجار والمار ، وأنه مستحق للإزالة والهدم ، كما عمل ذلك في غير موضع بالقاهرة فحكم له باستبداله ، وصار من جملة أملاكه ، فلما قتله الملك الناصر فرج بن برقوق استولى على سائر ما تركه وجعل هذا القصر فيما عينه للتربة التي أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر .

ويضيف المقرئزي أنه " استمر في جملة أوقاف التربة المذكورة إلى أن قتل الملك الناصر فرج بدمشق وقدم الأمير شيخ إلى مصر هو والخليفة المستعين بالله العباسي وقف له من بقى من أولاد جمال الدين الأستاذار وأقاربه ، فحكم قاضي القضاة صدر الدين علي بن الآدمي الحنفي بارتجاع أملاك جمال الدين التي وقفها على ما كانت عليه فتسلمها أخوه وصار هذا القصر إليهم وهو الآن بين يديهم " أي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي .

التخطيط العام والوصف المعماري :

أولاً - من الخارج : يتألف هذا القصر من طابقين وله ثلاث واجهات حجرية حرة الجنوبية الغربية تطل على حارة بيت القاضي ، والشمالية الغربية على شارع المعز لدين الله ، والشمالية الشرقية على درب قرمز وهي تتسم جميعا باحتوائها على فتحات عديدة متنوعة نجد بينها الشبابيك المستطيلة المعقودة ، والقمريات المستديرة ، والنوافذ المغشاة بمشربيات من خشب الخرط التي تعمل على كسر حدة الضوء النافذ إلى الداخل ، مثلما تعمل على تلطيف الهواء داخل القاعات ، وتكفل أيضا نوعا من الخصوصية لنساء القصر ، وتؤكد على حجاب المرأة إبان تلك الفترة وعلى حقوق الجيرة التي نادى بها الإسلام .

ويقع المدخل الرئيسي للقصر بالواجهة الجنوبية الغربية المطلة على حارة بيت القاضي ، يفضي إلى دركاه كان يسقفها قبو متقاطع ، بصدرها تجويف فتح فيه باب يعلوه عقد مدبب مسدود في الوقت الحالي ، وأغلب أجزائه مطمورة تحت الأنقاض ، يقع إلى يساره قاعة لها باب معقود وكان يسقفها قبو يرجح أنها كانت مخصصة لحرس القصر وخيولهم ، ويتصل بالدركاه شمالاً فناء مستطيل الشكل اندرست أغلب معالمه ، ولم يتبق منه سوى جدار في الغرب ، وبقياس سقيفة كانت تتقدمه جهة الجنوب ، يعلوها قبو ، ويظهر منها عقدان مدبان يرتكزان على دعامتين من الحجر .

أما المدخل المستخدم حالياً للدخول إلى القصر فهو الواقع بالواجهة الشمالية الشرقية المطل على درب قرمز ، حيث نتجه منه يساراً إلى كتلة المدخل الثاني للقصر الذي يقع داخل تجويف يعلوه ثلاثة عقود مدببة متداخلة ويكتنفه من أعلى عضادتين بهما كتابات بخط الثلث نقشت بالحفر البارز بقى منها البسملة واسم المنشئ وبعض ألقابه ، ويحيط به من أسفل مكسلتان من الحجر بارتفاع ما يقرب من المتر ، وهو يفتح بدوره على دركاه مربعة يعلوها سقف خشبي يزينة زخارف مذهبة وملونة ، بصدرها مصطبة حجرية وبجدارها الشمالي باب يؤدي إلى السلم الصاعد إلى الطابق العلوي ، وبجدارها الجنوبي باب يفضي إلى دهليز طويل يعلوه أقبية متقاطعة ، يؤدي إلى منشآت الدور الأرضي بالقصر ، ومن بينها دور قاعة مربعة التخطيط يعلوها قبو متقاطع ويتعامد عليها إيوانان في الشرق والغرب وسدلتان في الشمال والجنوب تمثل المندرية في القصور المملوكية المخصصة في الدور الأرضي لاستقبال الضيوف من الرجال ، يحدها من الشمال والجنوب الغربي مجموعة من الدكاكين ، تطل على شارع المعز لدين الله وعلى حارة بيت القاضي ، كما يشغل الركن الشمالي الغربي منها المصلى الملحق بالقصر وهو بناء غير منتظم الأضلاع يتصدر جداره الشرقي محراب بسيط . ويتقدمه شمالاً مiazza ، أما مدخله فيتوسط دكاكين الجهة الغربية ، ويفتح على شارع المعز مباشرة ، بعيداً عن محور المحراب .

الطابق الثاني : يلاحظ أن أغلب مباني هذا الطابق قد ضاعت معالمها باستثناء الدورقاعة التي يتعامد عليها أربعة إيوانات . وهي عبارة عن مساحة مربعة تنخفض أرضيتها عن أرضية الإيوانات الأربعة ويتوسطها فسقية من الرخام الملون وفقاً للنظام المعروف بالأبلىق والمشهر في آن واحد ، ويعلوها سقف خشبي جميل يتألف من قصع أو أحقاق مثمنة ، مجلدة بالتذهيب والألوان ، نقشت بزخارف نباتية متنوعة ، يتوسطها جامعة مفصصة ، وبأركان هذا السقف صفوف ثلاثية من مقرنصات خشبية ، تحصر بينها ثلاثة شبابيك بكل ضلع من أضلاع الدورقاعة .

ويشكل كل من الإيوانين الشرقي والغربي مساحة مستطيلة ، ويرتفعان عن أرضية الدورقاعة بحوالي ثلاثون سنتيمتر ، ويطلان عليها بواسطة عقد مدبب ، ومساحتهما أكبر بكثير من الإيوانين الشمالي والجنوبي ، ويسقف كل منها سقف خشبي يشبه سقف الدورقاعة ، ويصدر الإيوان الشرقي دخلة يكتنفها عمودان مثنان من الرخام ، تفتح على الإيوان المذكور بعقد مدبب ، وأرضيتها مرتفعة أيضاً عن أرضية الإيوان . بينما يوجد بصدر الإيوان المقابل أي الغربي ثلاث دخلات فتح بكل منها شباك ، الأوسط أكثرهم اتساعاً ويغطيه مصبغات ، على حين يغطي كل من الشباكين الجانبيين مشربية خشبية ، يعلوها جميعاً ثلاثة شبابيك معقودة ، يرتفع فوق الأوسط منها قمرية مستديرة ، والجميع مغشي بستائر جصية معشقة بزجاج ملون . ويشغل الركن الجنوبي الغربي من هذا الإيوان دخلة كانت تستخدم كخزانة

حائطية ، يوجد إلى الشرق منها باب يفضي إلى حجرة تقع على امتداد هذا الإيوان جنوباً ، يغطيها سقف خشبي ، فتح بكل من ضلعها الجنوبي والغربي شبك يغطيه مشربية خشبية ، كما يوجد بركنها الجنوبي الشرقي باب يفضي إلى ردهة سلم يؤدي إلى المغاني وهي عبارة عن مشربيات من الخشب الخرط الدقيق تطل على الدورقاعة ، كانت النسوة من أهل القصر وضيوفه ، يجلسن خلفها للفرجة على ما يدور في القاعة من أحداث . أما الضلع الشمالي من هذا الإيوان الغربي ، فيشتمل في ركنه الشمالي الغربي على شبك ، وفي ركنه الشمالي الشرقي على باب يفتح على ممر مستطيل به غرف للإقامة يغطيها أقبية متقاطعة .

ويفتح كل من الإيوانين الشمالي والجنوبي أو السدلتين على الدورقاعة بواسطة بائكة تتألف من ثلاثة عقود مدببة ، ترتفع فوق عمودين من الرخام ، يعلوها بائكة أخرى تضم ستة عقود مدببة ، ترتكز على سبعة أعمدة رخامية مثمنة ، غشيت المساحات بينها بحجاب من خشب الخرط الدقيق ، يتخلله نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل ، كانت تستخدم كمغاني ، وكان يرتفع فوقها غرف علوية بقيت بعض أطلالها . هذا ويسقف كل من الإيوانين المذكورين الشمالي والجنوبي ، سقف خشبي يتألف من قصب أو أحقاق مثمنة مجلدة بالذهب واللازورد .

جامع الطنبغا المارداني :

الموقع: يقع بشارع باب الوزير بالتبانة ، خارج باب زويلة .

المنشئ : الأمير علاء الدين الطنبغا بن عبد الله المارداني الساقي أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، ترقى في المناصب فُعِين أمير طبخانة ثم أمير مائة مقدم ألف ، وكان مقرباً من السلطان الناصر محمد فزوجه الناصر ابنته . وبعد وفاة الناصر محمد وتولى ابنه المنصور أبو بكر قُبِض على الأمير الطنبغا المارداني سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ، ولما خُلع المنصور وتولى أخوه الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م أُفِرَج عنه ، وبد تولى الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون السلطنة عُيِن الطنبغا المارداني نائباً على حماة سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م ، ثم عُيِن نائباً لحلب فاستمر بها إلى أن توفي في صفر سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م .

تاريخ الانشاء : كان الأمير الطنبغا المارداني ، أحد مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي شغف به " شغفاً زائداً ورقاه ، وأحب أن ينشئ له جامعاً خارج باب زويلة ، واشترى عدة دور من ملاكها برضاهم ، وانتدب السلطان لذلك ناظر الخاص ، فطلب أرباب الأملاك وقال لهم : الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء ... فلما كان في سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٧م) أخذ الأماكن من أربابها ، ... وهدمت وبني مكانها هذا الجامع . فبلغ مصروفه زيادة على ثلثمائة ألف درهم ، عنها نحو خمسة عشر ألف دينار ، سوى ما حمل إليه من الأخشاب والرخام وغيره من جهة السلطنة ، وأخذ ما كان في جامع راشدة من العمد ، فعملت فيه ، وجاء من أحسن الجوامع . وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة رابع عشر رمضان سنة أربعين وسبعمائة (١٤ مارس ١٣٤٠م) .

الجامع من الخارج : يحيط بالجامع أربعة جدران سميكة مرتفعة بهدف عدم تسرب الضوضاء إلى داخله ، مشيدة من الحجر الفص النحيت ، أي المذهب المصقول ، باللونين الأبيض والأحمر في صفوف متعاقبة متوازية ، أي مشهر ، يتوجها من أعلى شرافات مسننة ، يليها إلى أسفل إزار من كتابات بخط الثلث بالحفر البارز تبدأ من الواجهة الشمالية الشرقية وتستمر على الواجهة الجنوبية الشرقية فالجنوبية الغربية على حين تخلو الواجهة الشمالية الغربية من هذا الإزار الكتابي ، ويتضمن الإزار الذي يعلو الواجهة الأولى نصاً قرآنياً من سورة آل عمران (الآيات من ١-١٣) ، على حين يتضمن الإزار الذي يعلو الواجهة الثانية سورة يس (الآيات من ١٢-١٦) ، والإزار الذي يعلو الواجهة الثالث سورة الملك (الآيات من ١-١٦) ، وينتهي بالنص التاريخي " وكان الفراغ منه في سنة أربعين وسبعمائة " .

وتشتمل واجهات المسجد أيضاً على دخلات رأسية ، يتوجها من أعلى صدور مقرنصة ، فتح في أسفلها شبابيك مستطيلة مغطاة بمصببات معدنية ، يعلوها شبابيك مزدوجة معقودة مغطاة بزخارف هندسية نجمية ، راعى البناء في توزيعها الحرص على التناسب بين اتساع الدخلات وارتفاعها ، وبين أبعاد الواجهات ، في محاولة منه لدفع الملل عند النظر إلى هذه الواجهات وتأملها .

وتعد الواجهة الشمالية الشرقية هي الواجهة الرئيسية وهي تمتد بطول خمسون متراً ويقع بها المدخل الرئيسي للمسجد ، وهو بارز عن سمت جدرانها بحوالي أربعة أمتار ونصف المتر ، فتح داخل تجويف مستطيل يعلوه قبو مدبب ويكتفه من أسفل مكسلتان حجريتان بارتفاع ٧٥ سم بأعلى كل مكسلة تجويف يتوجه أربعة صفوف من المقرنصات ، على حين يعلو فتحة المدخل عقد مستقيم من صنج رخامية معشقة ، يعلوها عقد عاتق من صنج خضراء وبيضاء ، وبأعلاه ثلاثة صفوف من المقرنصات ، تضم بوسطها نافذة مستطيلة يغطيها مصبغات معدنية. ويعلو النافذة شريطان من الكتابات بخط الثلث نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وكان الفراغ من هذا الجامع المبارك في شهر رمضان المعظم سنة أربعين وسبعمائة".

ويوجد إلى يمين المدخل منذنة الجامع التي يرجح أنها أضيفت في وقت لاحق غير معلوم ، وهي تتألف من ثلاثة طوابق حافلة بزخارف شتى محفورة على الحجر ، تبدأ بقاعدة مربعة ترتفع فوق سطح الجامع ، يليها طابق أول ثماني الأضلاع ، بكل ضلع حنية معقودة ، فتح بأربع منها نوافذ تتقدمها شرفة ، يعلوه طابق ثان مثنى الأضلاع أيضاً ولكنه خال منه الحنايا والفتحات ، يرتفع فوقه طابق ثالث يمثل جوسقا يشتمل على ثمانية أعمدة رشيقة يعلوها خوذة كمثرية الشكل بأعلاها هلال نحاسي ، ويفصل بين كل طابق والذي يليه شرفة ذات ستة عشر ضلعاً من الحجر المفرغ بأشكال هندسية ونباتية ترتكز على صفوف من المقرنصات ، شأن بقية مآذن عصر المماليك.

وتنتهي الواجهة شرقاً بانكسار على شكل زاوية قائمة ، تفصل بين كل من الواجهة الشمالية الشرقية والواجهة الجنوبية الشرقية ، تنكسر بعق حوالي ستة أمتار .

ويبلغ طول الواجهة الجنوبية الشرقية ما يقرب من تسعة وأربعين متراً، ويتوسطها بروز حنية المحراب ، الذي يعلوه تجويف رأسي يتوجه ثلاثة صفوف من المقرنصات ، وبصدره نافذة مزدوجة معقودة ، كما يكتنف هذا البروز تجويفان رأسيان على كل جانب ، بكل منهما صفان من النوافذ ، وتنتهي أطراف هذه الواجهة في الزاويتين الشرقية ، والجنوبية بشطف على ارتفاع خمسة أمتار ، يعلوه ثلاثة صفوف من المقرنصات.

ويبلغ طول الواجهة الجنوبية الغربية حوالي خمسة وخمسين متراً ويشغلها المدخل الثالث للجامع ، وهو يقع على محور المدخل الرئيسي بالواجهة الشمالية الشرقية ، ويتألف من فتحة مستطيلة يعلوها عقد مستقيم من صنج رخامية معشقة ذات زخارف بيضاء وخضراء ، قوامها أوراق نباتية ثلاثية الشحمات ، بأعلاه عقد عاتق ، يعلوه تجويف رأسي يتوجه ثلاثة صفوف من المقرنصات ، ويحتل أسفله نافذة مغطاة بمشبكة نحاسية مفرغة ، كما يشغل الطرف الغربي من هذه الواجهة فتحة معقودة بعقد مدبب ومسدودة بالحجارة في الوقت الحالي وفي مستوى منخفض عن أرضية الشارع.

أما الواجهة الشمالية الغربية فيبلغ طولها نحواً من تسعة وأربعين متراً، وهي غفل من الزخرفة بعكس بقية الواجهات الأخرى ، باستثناء كتلة المدخل الثاني للجامع التي تتوسطها ، وتبرز عن سمتها بنحو مترين تقريباً، ويتوجه من أعلى صف من شرافات حجرية تتخذ شكل أوراق نباتية ثلاثية الشحمات ، نجد نظيراً لها في المدرسة الأقبالية بالجامع الأزهر ، كما يتقدم هذه الكتلة من أسفل صدفة أو بسطة رخامية تفضي إلى مدخل الجامع بواسطة سلالم حجرية على الجانبين. وتقع فتحة المدخل داخل تجويف رأسي يتوجه من أعلى طاقية محارية ترتكز على أربعة صفوف من المقرنصات ، ويكتنفه من أسفل مكسلتان من الحجر بارتفاع ٧٥ سنتمتر ، ويتوسط هذا التجويف فتحة المدخل الذي يعلوه عقد مستقيم من صنج رخامية معشقة باللونين الأخضر والأبيض ، بأعلاه عقد عاتق من صنج رخامية غير معشقة باللونين الأحمر والأبيض ، يوجد فوقه شريطان من الكتابات البارزة نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً أنشأ هذا الجامع المبارك من فضل الله وكرمه العبد الفقير إلى الله تعالى الظنبا الملكي الناصري وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين وستمائة للهجرة النبوية عليه السلام " . وبأعلى هذين الشريطين قمرية مستديرة بداخلها دائرتين متداخلتين ، الخارجية منهما نقشت بآيات قرآنية بارزة بخط الثلث ، وبداخلية زخارف خزفية باللون الأخضر والأبيض والأسود منقوشة بزخارف نباتية مورقة ، تعتبر الأولى من نوعها في العمارة الإسلامية في مصر . ويمتد بواجهة كتلة المدخل شريط كتابي بخط الثلث المملوكي به آيات قرآنية من سورة البقرة ، ضاع جزء منها أثناء ترميم الجامع في سنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م.

الجامع من الداخل : التخطيط الداخلي للجامع وفق طراز الصحن والظلات ، حيث يتكون من صحن أوسط مكشوف يحيط به أربع ظلات ، الصحن مستطيل الشكل ٢٧,٥ × ٢٣,٥ متر ، وأرضية مفروشة ببلاطات حجرية ، ويتوسطه فوارة مثمثة ، يغطيها مظلة خشبية نصف كروية ، تركز على ثمانية أعمدة خشبية ، نقلت من مدرسة السلطان حسن كما يفهم من النص المنقوش بخط الثلث على ضلعها الشمالي الذي جاء فيه : " نقلت لجنة حفظ الآثار العربية هذا الحوض والقبعة علوه / من جامع السلطان حسن إلى هذا الجامع في عصر خديو / مصر عباس حلمي الثاني أطال الله أيامه وذلك في / سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية".

وظلة القبلة الجنوبية الشرقية أكبر الظلات ، وتشتمل على أربع بلاطات يفصلها أربع بانيكات تسير موازية لجدار القبلة ، بكل منها أحد عشر عقداً مديباً يربطها شبكة من الروابط الخشبية ، تركز على عشرة أعمدة رخامية ، فيما عدا بانيكة المحراب التي تحتوي على أربعة أعمدة فقط ، إذ يشغل الركن الجنوبي منها مكتبة الجامع وبعض الغرف الحديثة البناء ، ويشغل الركن الشرقي انكسار على شكل زاوية قائمة كما سبق ذكره. وتحتوي ظلة القبلة على زخارف متعددة ، فقد أقيمت عقودها فوق عمد من الرخام والجرانيت الأحمر الوردي ، ونقش السقف الخشبي بزخارف هندسية ونباتية ملونة ، وفتحت بأعلى الجدران نوافذ جصية معشقة بزجاج ملون يفصلها بخاريات جصية ذات زخارف نباتية مورقة (أرابيسك) بالإضافة إلى بعض جامات مستديرة تزدهم بدورها بالزخارف النباتية المتنوعة .

كما كسيت الجدران إلى ارتفاع أربعة أمتار ونصف المتر ، بوزرات رخامية ملونة ومطعمة بالصدف تضم أشكالاً هندسية متعددة ، وكتابات كوفية مربعة نفذت بالرخام الأخضر ، يتضمن بعضها الشهادة ، أو اسم محمد مكرراً أربع مرات ، أو بضعة آيات قرآنية تلتف حول مناطق مستديرة .

ويتصدر جدار القبلة محراب يعد من أندر المحاريب الرخامية في مصر المملوكية ، يكتنفه عمودان من الرخام ، يرتفع فوقهما عقد مدبب من صنج رخامية معشقة ذات لون أبيض وأحمر وأسود ، نقشت توشاحه برسوم هندسية نجمية بالفسيفساء الرخامية ذات اللون البني والأبيض والرمادي ، ويلتف حولها شريط من الكتابات الجصية البارزة. ويعلو تجويفه طاقيّة من الفسيفساء الرخامية تشتمل على نقوش هندسية باللونين الأحمر والفيروزي على أرضية بيضاء ، يحيط بها إزار من آيات قرآنية نقشت بخط الثلث المملوكي ، على حين كسي بدن المحراب بالرخام الدقيق والصدف المكون من أشكال هندسية بدیعة .

ويعلو المحراب قبة بصلية الشكل تشغل البلاطة الأولى والثانية أمام المحراب أعادت بناءها لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ، وهي ترتكز على ثمانية أعمدة ضخمة من الجرانيت الأحمر لها تيجان مصرية قديمة ، ويشغل مناطق انتقالها ستة صفوف من المقرنصات الخشبية الملونة والمذهبة ، فتح بينها شبابيك جصية معشقة بزجاج ملون ، ويحيط بمربع القبة إفريز خشبي به كتابات قرآنية باللون الفضي على أرضية سوداء ، يحتوي بعضها على زخارف نباتية دقيقة .

ويوجد إلى يمين المحراب منبر خشبي مطعم بالسن والعاج والصدف، يعلو مدخله صف من الشراقات المسننة ، ويزين ريشته مجموعة من الأطباق النجمية والحشوات السداسية والخماسية المضلاع، بالإضافة إلى أشكال المثلثات المطعمة والمزينة بتكوينها من زخارف نباتية نفذت بالحفر البارز ، كما يعلو منصة الخطيب قبة مفصصة ، تنتهي بهلال نحاسي وترتكز على أربعة أعمدة خشبية تحصر بينها أربعة مناطق مدببة . وجدير بالذكر أن نحواً من أربعين حشوة من حشوات هذا المنبر سرقت قبل تشكيل لجنة حفظ الآثار العربية بعشر سنوات ، ونقلت إلى أوروبا ، ثم أعيدت إلى مصر ، لتباع فيها ، فاشترتها اللجنة بثمانين جنيهاً وأعادتها إلى منبرها الأصلي في سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢ ، وقد سرقت من جديد في أواخر عام ٢٠٠٨م.

وبظلة القبلة دكة المبلغ التي تشغل منتصف البلاطة الثالثة ، وهي مثمثة المضلاع من الرخام وتقوم على إثني عشر عموداً من الرخام أيضاً ، ويحيط بها من أعلى دروة رخامية تزدان ببيابات مكورة الشكل .

وتحتوي ظلة القبلة كذلك على ثلاثة نصوص تاريخية نقشت على ألواح رخامية ، من بينها لوحان بالجدار الشمالي الشرقي ، بكل منها أربعة أسطر بخط الثلث المملوكي ، حفرت في الحجر وليست بالرخام الأخضر نصهما :

(أ) " بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا الجامع المبارك الفقير إلى الله تعالى الطنبغا الساقى الناصري " .

(ب) " بسم الله الرحمن الرحيم وكان الفراغ منه في شهر رمضان المعظم سنة أربعين وسبعمائة " .

أما النص الثالث فيوجد على يمين المنبر وهو منقوش بدوره بخط الثلث المملوكي ويشتمل على ثلاثة أسطر نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير / إلى الله تعالى الراجي عفو ربه الطنبغا السافي الملكي الناصري / وذلك في شهور سنة أربعين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله " .

ويفصل ظلة القبلة عن الصحن مقصورة من خشب الخراط المحفور من وجهيه بزخارف نباتية دقيقة ، تشتمل على ستة صفوف أفقية يتوجها شرافات على هيئة أوراق نباتية ثلاثية الشحومات ، كما يعلو الصف الخامس كتابات قرآنية من سورتي المؤمنون ، (الآيات من ١-١٤) ، والنجم (الآيات من ١-٢٣) . وفتح بالصفوف الأربعة السفلية من هذه المقصورة ثلاثة أبواب تفضي إلى داخل ظلة القبلة . وهي تعد بمثابة المثال الثاني الذي وصلنا من عمارة مصر الإسلامية ، بعد مقصورة مسجد آل ملك الجوكندار بحي الجمالية ، الذي شيد فيما بين سنتي ٧١٩ - ٧٣٢ هـ / ١٣١٩-١٣٣٢ م .

أما باقي الظلات فتتكون كل واحدة من بانكتين تسير عقودهما موازية للجدران ، وتتكون البوائك من أعمدة تحمل عقوداً مدببة فتحت في خواصرها عقوداً صغيرة لتخفيف الضغط الطارد على الأعمدة ولزيادة الإضاءة والتهوية بالظلات .

ويتوج جميع واجهات الأروقة المطلة على الصحن شرافات مسننة مزينة بزخارف نباتية دقيقة كسي أعلاها بقطع مفرغة من القاشاني الأخضر ، تعتبر نموذجاً فريداً في عمارة مصر الإسلامية ، كما يتوج شرافات الأركان وتلك التي تتوسط كل واجهة قمم حجري مخصص يقوم على قاعدة من المقرنصات ، نجد له نظيراً في جامع الناصر محمد بالقلعة .

ويزين أيضاً الواجهات المطلة على الصحن مجموعة من الجامات المستديرة والحنايا الضحلة والعقود المحارية والأشكال النجمية التي نجد نظيراً لها في كل من جامع أحمد بن طولون والجامع الأزهر .

هذا ويشير المقريري إلى المهندس الذي قام ببناء هذا الجامع ومئذنته إذ يذكر بصدد حديثه عن المدرسة الأقبغوية بالجامع الأزهر ومئذنتها ما نصه : " ... بناها هي والمدرسة المعلم ابن السيوفي ، رئيس المهندسين في الأيام الناصرية ، وهو الذي تولى بناء جامع المارداني خارج باب زويلة ، وبنى مئذنته أيضاً " .

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإصلاح هذا الجامع وترميمه ، في الفترة بين سنتي ١٣١٤-١٣٢١ هـ / ١٨٩٦-١٩٠٣م فجددت الواهي من جدرانه ، واستبدلت ما تداعى من أعمدته ، وأصلحت وزرائه ومحاربه ، وجددت منبره وشبابيكه وأبوابه ، وأعادت بناء القبة التي تتقدم المحراب ، وأصلحت مقرنصاتها القديمة وأعادت إليها النقوش كما كانت في الأصل ، وأعادت أيضاً بناء الدروة العليا من المئذنة ، وأصلحت بعض أجزاء المقصورة والسقف الخشبي .

جامع آق سنقر المعروف بالجامع الأزرق :

الموقع : يقع بشارع باب الوزير بالقاهرة .

المنشئ: الأمير آق سنقر الناصري أحد ممالك الناصر محمد بن قلاوون ، عينه في عدة وظائف منها أمير شيكار ثم أمير مائة مقدم ألف وزوجه إحدى بناته ، ثم عين والياً على غزة بعد وفاة الناصر محمد ، وفي سلطنة الصالح إسماعيل عُين أميراً خور وهو المشرف على الاصطبلات السلطانية ثم تولى نيابة طرابلس .

وفي عهد الأشرف شعبان زادت أهميته وعمل على انتقال الملك إلى المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون ، فصار نافذ الكلمة ، ولعب دوراً كبيراً في سياسة الدولة إلى أن قبض عليه في ربيع الآخر سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م وقُتل ودُفن في مسجده . ومما يؤثر عنه أنه كان عفيفاً عن أموال الرعية وكان حسن الخط .

تاريخ الإنشاء : شرع في بنائه الأمير آق سنقر الناصري في ١٦ رمضان سنة ٧٤٧هـ / ٣١ ديسمبر ١٣٤٦م ، وافتتحه للصلاة في يوم الجمعة ٣ ربيع الأول سنة ٧٤٨هـ / ١٣ يونيو ١٣٤٧م ، ويضيف المقرئ أن " هذا الجامع قريب من قلعة الجبل ، فيما بين بابا الوزير والتبانة ، كان موضعه في القديم مقابر أهل القاهرة ، وأنشأه الأمير آق سنقر الناصري ، وبناه بالحجر ، وجعل صفوفه عقوداً من حجارة ورخمه ، واهتم في بنائه اهتماماً زائداً حتى كان يقعد على عمارته بنفسه ، ويشيل التراب مع الفعلة بيده ، ويتأخر عن غذائه اشتغالاً بذلك وأنشأ بجانبه مكتباً لإقراء أيتام المسلمين القرآن، وحانوتاً لسقي الناس الماء العذب. ووجد عند حفر أساس هذا الجامع كثيراً من الأموات ، وجعل عليه ضيعة من قرى حلب تغل في السنة مائة وخمسين ألف درهم فضة ، عنها نحو سبعة آلاف دينار ، وقرر فيه درساً فيه عدة من الفقهاء ... وأقام له سائر ما يحتاج إليه من أرباب الوظائف ، وبنى بجواره مكاناً ليدفن فيه ، ونقل إليه ابنه فدفنه هناك " . وأضاف أيضاً أن " هذا الجامع من أجل جوامع مصر ، إلا أنه لما حدثت الفتنة ببلاد الشام ، وخرجت النواب عن طاعة سلطان مصر منذ مات الملك الظاهر برفوق في سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٩م ، امتنع حضور مغل وقف هذا الجامع لكونه في بلاد حلب ، فتعطل الجامع من أرباب وظائفه إلا الأذان والصلاة وإقامة الخطبة في الجمع والأعياد " .

وروى المقرئ كذلك أنه : " لما كانت سنة خمس عشرة وثمانمائة هجرية أنشأ في وسطه الأمير طوغان الدودار بركة ماء وسقفها ونصب عليها عمداً من الرخام لحمل السقف أخذها من جامع الخندق ، فهدم الجامع بالخندق من أجل ذلك ، وصار الماء ينقل إلى هذه البركة من ساقية الجامع التي كانت للميضاة فلما قبض الملك المؤيد شيخ الظاهري على طوغان في يوم الخميس تاسع عشر جمادي الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة وأخرجه إلى الإسكندرية واعتقله بها ، أخذ شخص الثور الذي كان يدير الساقية ، فإن طوغان كان أخذه منه بغير ثمن ، كما هي عادة أمرائنا ، فبطل الماء في البركة " . وفي سنة ٨٠٦هـ / ١٦٥١م أوقف الأمير إبراهيم أغا مستحفظان ناظر الجامع عليه بعض الأماكن والأعيان والأراضي ، تغل سنويا ، خصصه للصرف على الجامع وتعميره وإقامة شعائره ، فكان من بينها المنزل المقابل له بنفس الشارع ، الذي عثر علي نقش بواجهته مدون عليه النص التالي : " أنشأ هذا المكان المبارك وأوقفه إبراهيم أغا مستحفظان ، في سنة إحدى وستين وألف من الهجرة النبوية " .

المسجد من الخارج : يحد المسجد من جهة الشمال الغربي شارع باب الوزير ، ويحده من الشمال الشرقي درب شغلان ، ومن الجنوب الشرقي أرض فضاء يشغلها ملاعب نادي الدرب الأحمر وجزء من سور صلاح الدين الواصل إلى القلعة ، ومن الجنوب الغربي شارع باب الوزير حيث يحجب جزء من واجهته منزل سكني ملاصق للجامع من هذه الناحية ، وله ثلاث واجهات مشيدة من الحجر الفص النحيت ، أي المذهب المصقول باللونين الأحمر الداكن والأصفر في صفوف متعاقبة متوازية (مشهر) يتوجها من أعلى شرفات مسننة ، وتعتبر الواجهة الشمالية الغربية ، التي تمتد إلى مسافة ستة وثلاثين متراً ، بمثابة الواجهة الرئيسية للجامع وبها مدخله الرئيسي الذي يتقدمه صدف أو بسطة رخامية ذات سلالم حجرية على الجانبين ، ويحيط بها من أعلى دروة رخامية يتخللها أربع بابات مكورة.

والمدخل مفتوح داخل تجويف يتوجه عقد مدبب ، فتح بصدرة باب يعلوه عقد مستقيم من صنج معشقة بالرخام الأخضر والأبيض على التوالي، بأعلاه عقد عاتق من صنج حجرية ذات لون أحمر وأصفر . ويكتنفه من أسفل مكسلتان من الحجر . ويوجد على يمين المدخل

جنوباً نافذتان يغشيهما مصبعتا معدنية ، ويعلوها عقود مستقيمة وعاتقة من صنج رخامية معشقة ، يتوسطها من أعلى قمرية مستديرة بأعلاها بضعة صفوف من مقرنصات .

ويحتل الطرف الغربي من هذه الواجهة منذنة الجامع وهي رشيقة مشيدة من الحجر وتتألف من ثلاثة طوابق ، الأول أسطواني ، غفل من الزخرفة ، يرتكز على قاعدة مربعة ، ويفصل بينه وبين الطابق الثاني شرفة يحيط بها دروة ذات ستة عشر ضلعاً من الحجر المفرغ ، ترتفع فوق مثلثات من المقرنصات . ويشتمل الطابق الثاني على قنوات رأسية تمتد بارتفاع الطابق ويفصله عن الطابق الثالث شرفة مماثلة ولكن أصغر حجماً . أما الطابق الثالث فيحتوي على ست دعائم يعلوها عقوداً مدببة يقوم فوقها خوذة خشبية مغلفة بالرصاص لتخفيف الضغط الطارد على الدعائم . ويوجد فوق مدخل هذه المنذنة الذي يقع في الركن الغربي من جهة الصحن ، لوحة رخامية تشير إلى قيام لجنة حفظ الآثار العربية بتجديد وإصلاح هذه المنذنة في سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م في عهد محمد توفيق باشا .

أما الزاوية الشمالية الغربية من هذه الواجهة فيحتلها مدفن السلطان علاء الدين كجك الذي توفي في شهر جمادي الأولى سنة ست وأربعين وسبعمئة / سبتمبر ١٣٤٥م ، أي قبل تشييد هذا الجامع الذي ألحق بهذا المدفن بنحو عام تقريباً . وهو مغطى بقبة ، يتوج واجهتها من أعلى صف من المقرنصات يليه إلى أسفل جامة مستديرة مفرغة من الجص يوجد أسفل منها نقش كتابي بخط الثلث المملوكي ، يضم أربعة أسطر بالحفر البارز نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت هاهنا (كذا) القبة المباركة عمرت لدفن العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف علاء الدين كجك وكانت وفاته في شهر جمادي الأولى من سنة ست وأربعين وسبعمئة من الهجرة النبوية" .

وتمتد الواجهة الجنوبية الغربية بطول ثمانية وأربعين متراً ، يحجب ستة وثلاثون متراً منها أحد المنازل الملاصقة للمسجد ، ويتقدم الجزء الباقي منها بسطة أو صدف رخامية مزودة بسلاسل حجرية من جهة واحدة ولا دروة لها ، تفضي إلى المدخل الثاني للجامع ، وهو يقع داخل تجويف يعلوه عقد مدبب ، ويكتنفه أيضاً من أسفل مكسلتان من الحجر . ويعلو فتحة المدخل عقد مستقيم من صنج رخامية معشقة ، بأعلاه عقد عاتق من صنج حجرية ، ثبت فوقه لوحة تأسيسه نقش بها أربعة أسطر بخط الثلث المملوكي نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى آق سنقر الناصري تغمد الله برحمته وكان ابتداء عمارته سادس عشر رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبعمئة من الهجرة النبوية ، وتوفي رحمه الله تعالى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمئة من الهجرة النبوية" .

وتضم هذه الواجهة أيضاً إلى اليمين من هذا المدخل واجهة مقبرة بسيطة تحمل اسم الأمير آق سنقر كما تضم أيضاً إلى اليسار منها واجهة مدفن إبراهيم أغا مستحفظان الذي أضيف إلى الجامع في سنة ١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م ، ويطل عليه نافذة يعلوها لوحة رخامية عليها ستة أسطر من كتابات نصها : " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، عمر وجدد هذا الجامع الشريف المبارك إبراهيم أغا مستحفظان حالاً بتاريخ سنة إحدى وستين وألف من الهجرة النبوية" .

أما الواجهة الشمالية الشرقية والمطلّة على درب شغلان فهي تمتد بنحو واحد وثلاثون متراً ونصف المتر ، ويشغل الطرف الشمالي منها قبة السلطان علاء الدين كجك التي تطل على الدرب المذكور من خلال ثلاثة شبابيك ، يليها شباك رابع يطل على داخل الجامع ، يقع إلى الشرق منه المدخل الثالث للجامع وهو على مستوى أرضية الدرب ، ويشبه إلى حد ما المدخل الجنوبي الغربي ولكنه ليس على محوره ، يتوجه من أعلى عقد مستقيم من صنجات حجرية ، بأعلاه عقد عاتق يتألف بدوره من صنجات حجرية ، تعلوه لوحة تأسيسية نقش عليها نص بخط الثلث المملوكي ، طمست أغلب معالمه بتأثير العوامل الجوية ، تمتد بعده الواجهة بميل في اتجاه الشرق حيث نجد فتحة مدخل أخرى تفضي إلى داخل الجامع ، تستخدم في الوقت الحالي للمرور إلى الميضاة التي أضيفت حديثاً على الجانب الآخر من درب شغلان .

هذا وقد أضيف إلى الجامع مجموعة من الدعائم الساندة ، نجد اثنتان منها خارج الطرف الشرقي للواجهة الشمالية الشرقية وثلاث خارج جدار المحراب بالواجهة الجنوبية الشرقية التي تضم أيضاً بروزاً في الزاوية الجنوبية منها يمثل غرفة مستطيلة ، يفضي مدخلها إلى داخل رواق القبلة .

الجامع من الداخل : تخطيط الجامع من الداخل يتبع التخطيط التقليدي للمساجد ، إذ يتألف من صحن أوسط مكشوف يحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة.

الصحن سماوي مستطيل الشكل ٢٦,٢٠ × ٣٠,٦٠ متراً ، يتوسطه في الوقت الحالي حديقة يجاورها مظلة خشبية تقوم على أربعة أعمدة حجرية بأسفلها بئر للمياه غير مستخدمة في الوقت الحالي ، يبدو أنها كانت متصلة بالفسقية التي أقامها الأمير طوغان الدودار في سنة ٨١٥هـ / ١٤١٢م ، ولم يتبق منها سوى بلاطة رخامية تحمل رنك الدواة مثبتة بالجدار الثاني الغربي بمدفن إبراهيم أغا مستحفظان.

وتحتوي ظلة القبلة على بلاطتين يفصل بينهما بائكة موازية للمحارب تتألف من أربع دعائم ضخمة مثمثة المسقط ، شيدت من صفوف منتظمة من حجارة ملونة بالأبيض والأحمر يعلوها أرجل العقود المدببة الحاملة للأقبية الحجرية المتقاطعة التي كانت تسقف هذه الظلة والتي لم يتبق منها سوى سقف بلاطة المحارب.

أما البلاطة الثانية فقد استبدل سقفها الحجري بسقف خشبي وإن بقي طرفا هذه البلاطة في الشرق والجنوب على أصلهما منذ أيام آق سنقر ، كما استبدلت دعائم هذه البلاطة المطلة على الصحن بعمد رخامية ودعائم حجرية مربعة .

ويوجد المحارب بوسط جدار القبلة وهو مغشي بأشرطة دقيقة من الرخام والصدف ويتخلل تجويفه محاريب صغيرة محمولة على عمد صغيرة ، وشريط من كتابات قرآنية بخط الثلث المملوكي من سورة البقرة ، ويعلوها طاقية تزدان بفسيفساء رخامية دقيقة (رخام خردة) يتوجها من الخارج عقدان مدبيان متداخلان يرتكزان على أربعة أعمدة رخامية .

ويكسو جدار القبلة حتى السقف مجموعة كبيرة من القاشاني الملون الجميل ، وهي أكبر مجموعة وجدت في منشأة واحدة من منشآت مصر الإسلامية ، يقال أن إبراهيم أغا مستحفظان قام باستيرادها خصيصاً من مدينة أزيق بآسيا الصغرى ، وأنها عملت خصيصاً لهذا الجامع برسوم محددة ، لذلك نجد أطرافها كاملة ونقوشها متماثلة ، فبعضها يمثل محراباً يعلوه قنديل ؛ كتب فيه " يا الله يا محمد " ، يكتنفه شجرتي سرو ، وبداخله زهرية يتفرع منها أفرع نباتية تحمل زهوراً ، والبعض الآخر يمثل زهريات مختلفة وزخارف وزهوراً ملونة ، وفي أعلاها مشكاة كتب عليها نفس العبارة السابقة ، وكل هذه البلاطات ذات لون أزرق سماوي بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الألوان نجد بينهما اللون الأحمر الطماطم والأبيض والأخضر الزراعي الذي يؤلف خليطاً جميلاً مع اللون الأزرق السماوي الذي يسود البلاطات جميعاً ، لذا عرف هذا الجامع خاصة عند الأجانب باسم الجامع الأزرق .

ويعلو المحارب قبة كبيرة مشيدة بالطوب ، ويشغل مناطق الانتقال بها ، أربع حنايا ركنية تنتهي كل واحدة منها بدلاية ، تذكرنا بمناطق الانتقال في قبة مدفن السلطان علاء الدين كجك التي ألحق بها هذا الجامع.

ويوجد على يمين المحارب منبر من الرخام يزين جوانبه رسوم بارزة تتألف من أوراق وعناقيد عنب ، كما يزين أعلى جلسته كتابات كوفية مربعة . ويعد هذا المنبر من أقدم المنابر الرخامية القائمة بآثار مصر الإسلامية بعد بقايا منبر مسجد الخطيري المحفوظ حالياً بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة الذي ينسب إلى سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م.

ونجد أيضاً على يسار المحارب لوحة رخامية مربعة الشكل تشتمل على أربعة أسطر بخط الثلث تسجل رؤيا ملخصها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، شوهد وهو قائم يصلي في محراب جامع آق سنقر ، إذ نقرأ عليها النص التالي : " رأي النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحراب ليلة السبت تاسع شهر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة وهو قائم يصلي عمر هذا الجامع الشريف إبراهيم أغا مستحفظان حالاً في تاريخ سنة ١٠٦٢هـ " .

لذا يرجح أن هذه الرؤية هي سبب تسمية هذا الجامع بجامع النور ، مع أن هذا الاسم وجد منقوشاً بالفعل على اللوحة المثبتة على قبر آق سنقر بالرواق الجنوبي ، كما ورد أيضاً في وثيقة وقف هذا الجامع . ويضم رواق القبلة كذلك دكة للمبلغ من الرخام تعتبر الثالثة من نوعها بعد دكة مسجد ألماس الحاجب من سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م ، ومسجد الطنبغا المارداني السابق الإشارة إليه .

وتتكون الظلة الشمالية الغربية من بلاطة واحدة وتتصل في ركنها الشمالي بقبة السلطان علاء الدين كجك وهي عبارة عن مساحة مربعة يعلوها قبة مشيدة بالطوب ، يتقدمها شرقاً إيوان مغطى بقبو ، يزين الجميع جامات وبخاريات جصية بها نقوش نباتية ، كما يحيط

بمربع القبة إزار جصي به كتابات قرآنية بخط الثلث المملوكي من سورة البقرة (الآيتان ٢ ، ٥٥) ونص تاريخي : " هذا ضريح العبد الفقير إلى الله تعالى العبد الشهيد مولانا السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد ابن مولانا السلطان السعيد الشهيد قلاوون الصالحي تغمدهم الله برحمته وأسكنهم فسيح جناته وقُدس أرواحهم الطاهرة وعوضهم عن الدنيا نعيم الآخرة وكانت وفاته في جمادي الأولى سنة ست وأربعين وسبعمائة " . ويشغل مناطق الانتقال بها أربع حنيات ركنية زودت كل منها بدلاية من الخشب مكسية بالجص ، تذكرنا بنظائرها في القبة التي تعلو المحراب .

أما الظلتان الجانبيتان فتتكون كل واحدة منهما من بلاطة واحدة، وقد حدث بهما تغييرات جوهرية في العصر العثماني حيث استبدلت أسقفهما الأصلية ذات الأقبية الحجرية المتقاطعة بأسقف خشبية ، كما استبدلت دعاماتها بأعمدة رخامية وبدعامات حجرية شبه مربعة ، وذلك عقب الأضرار التي لحقت بالجامع من جراء زلزال منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي . كما استيعض عن المكتب والسبيل ومدفن آق سنقر الذي كان يشغل الطرف الغربي من الظلة الجنوبية الغربية بالمقبرة الحالية التي أقامها إبراهيم أغا مستحفظان لنفسه أثناء تجديده للجامع فيما بين سنتي ١٠٦١ - ١٠٦٢ هـ / ١٦٥١ - ١٦٥٢م وأثناء نظارته عليه . وهذا المدفن عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل ، جدرانها مؤزرة بالرخام وبها محراب رخامي ، وكسي أعلى الجداران حتى السقف بالقاشاني ، وبوسطها تركيبة رخامية تعلو قبر المنشأ ، مدون عليها النص التالي : " أنشأ هذا المكان المبارك الراجي عفو ربه ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه هو الغفور الرحيم إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ شعبان المبارك في سنة ١٠٦٤ هـ " . كما توجد لوحة أخرى مثبتة على واجهة المدفن الشمالية المطلية على الصحن نصها : " أنشأ هذا المدفن المبارك من فضل الله تعالى في زمن عبد الرحمن باشا حاكم مصر المحروسة إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ ١٠٦٢ هـ " .

ويتقدم هذا المدفن بناء حديث مربع الشكل تسوده البساطة مسجل عليه النص التالي : " هذا قبر المرحوم آق سنقر الناصري المعروف بجامع النور وكان ابتدأه سادس عشر رمضان سنة ٧٤٧ هـ والفراغ في سنة ٧٤٨ هـ " . يرجح أنه من عمل إبراهيم مستحفظان الذي بخل على المنشئ الأصلي للجامع بمدفن يناسب الجهد والمال الذي بذله في تشييد هذا الجامع .

خلاصة القول أن هذا الجامع شهد العديد من عمليات الترميم والتجديد ليس فقط في أيام إبراهيم أغا مستحفظان الذي صار الجامع يحمل اسمه ، بل أيضا في سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥م حيث قام الناظر على وقف إبراهيم أغا مستحفظان ببعض الإصلاحات المعمارية بعدما سمحت له بذلك محكمة الباب العالي .

وفي سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠م آلت أوقاف إبراهيم أغا مستحفظان لإشراف ديوان عموم الأوقاف أي وزارة الأوقاف الحالية ، فتولى مباشرة الجامع وعمارته وإقامة الشعائر به من ريع أوقافه .

وقامت وزارة الأوقاف أيضاً بإصلاح المئذنة وإعادة بناء دورتها الثالثة بعد سقوطها في عصر خديوي مصر توفيق في سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٩م . بعد ذلك توالى عناية لجنة حفظ الآثار العربية بهذا الجامع فأصلحت العقود والقاشاني ، وأصلحت المنبر ، وكشفت الواجهات من الأبنية التي كانت تحجبها .

مدرسة صرغتمش :

الموقع : تقع هذه المدرسة بشارع الخضيرى بحي السيدة زينب ، مجاورة للواجهة الشمالية الغربية بجامع احمد بن طولون .

المنشئ : هو الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري ، أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون اشتراه بثمن كبير ، ثم عُين جمادراً وهي كلمة فارسية من مقطعين جام أي مرآة ودار بمعنى ممسك أي حامل المرآة للسلطان عندما يلبس ثيابه وكذلك المشرف على الملابس السلطانية .

وفي سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م رقي إلى رأس نوبة كبير ومنح سلطات كبيرة ، وزاد نفوذه في سلطنة الصالح صالح وانفرد بتدبير شئون الدولة بعد الأمير شيخو ، حتى قبض عليه السلطان حسن وحبسه في الإسكندرية ومات في محبسه سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨م ونقل جثته إلى مدرسته .

وكان معروفاً عنه أنه كان أميراً حازماً ، اشتغل بالعلم وتفقه على المذهب الحنفي وتعصب له ، وكان يُقرب علماء فارس ويجلّهم إجلالاً زائداً .

تاريخ الانشاء : بدأ فى بنائها الأمير سيف الدين صرغتمش في سنة ١٣٥٦هـ / ١٣٥٦م وتم البناء سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م. وفق ما جاء فى كلام المقرئى عنها حيث يقول : " هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع الأمير أبى العباس أحمد بن طولون ، فيما بينه وبين قلعة الجبل . وكان موضعها قديماً من جملة قطائع ابن طولون ، ثم صار عدة مساكن فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري رأس نوبة وهدمها ، وابتدأ فى بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وانتهت فى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين " .

وذكر أيضا أنها " جاءت من أبداع المباني وأجلها وأحسنها قالباً ، وأبهجها منظراً فركب الأمير صرغتمش فى يوم الثلاثاء تاسعة ... ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الأتقاني ، فألقى القوام الدرس ، ثم مد سماط جليل بالهمة الملوكية ، وملئت البركة التي بها سكرأ قد أذيب بالماء ، فأكل الناس وشربوا وأبيح ما بقى من ذلك للعامة فانتبهوه . وجعل الأمير صرغتمش هذه المدرسة وفقاً على الفقهاء الحنفية ... ورتب بها درساً للحديث النبوي وأجرى لهم جميعاً المعالم من وقف رتبه لهم " .

المدرسة من الخارج : تطل الواجهة الرئيسية للمدرسة الشمالية الغربية على شارع الخضيرى وهي مشيدة من الحجر الفص النحيت باللونين الأبيض والأحمر فى صفوف متعاقبة متوازية (مشهر) يتوجها من أعلى شرفات مسننة ، وفتح بها ثلاثة تجاويف رأسية ، يعلو كل منها صدر مقرنص يتألف من صفين ، ونجد فى كل تجويف نافذة أرضية مستطيلة مغطاة بمصبغات معدنية ، يعلوها نافذة معقودة مغطاة بستائر جصية تزدان بزخارف هندسية تمثل أطباقاً نجمية مفرغة يلتف حولها شريط من زخارف نباتية محفورة ، ويعلو الجميع بهذه الواجهة خمسة شبابيك أخرى مغطاه بدورها بمصبغات معدنية .

ويشغل الركن الغربي من هذه الواجهة قبة المنشئ ، وهي تبرز قليلاً عن سمت الواجهة ، ويزدان ضلعها الشمالي الغربي بثلاثة تجاويف رأسية ، بالإضافة إلى تجويف ركني رابع يحتل الزاوية الغربية منها ، أعدت بدورها لاستقبال نوافذ القبة .

أما المدخل فيحتل الطرف الشمالي من الواجهة وهو يوجد داخل حنية مجوفة يتوجها عقد ثلاثي الفصوص (مدائنى) مقرنص ، بأسفله فتحة الباب التى يغلق عليها باب خشبي من مصراعين بهما حشوات مجمعة ، بأعلاه وأسفله شريطان نحاسيان ، ويكتنفه من أسفل مكسلتان من الحجر فوقهما بنحو مترين تقريباً على جانبي المدخل شريط به كتابات بخط الثلث المملوكي نصها : " أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف العالي المولوي العادلي الفاضلي السيفي صرغتمش رأس نوبة الملكي الناصري مربى العلماء مقوي الضعفاء وياني المدارس فى ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبعمائة " .

ويعلو فتحة الباب عقد مستقيم يتألف من صنج حجرية منقوشة بزخارف نباتية مورقة نفذت بالحفر البارز ، يعلوه عقد عاتق يزين نفيسه زخارف نباتية بارزة ، وفوق العقد العاتق يوجد شبك مستطيل مغطى بمصبغات معدنية ، فوقه نافذة مستطيلة مغطاه بزخارف جصية .

ويوجد إلى يسار المدخل فى أقصى الطرف الشمالي من الواجهة مئذنة رشيقة مشيدة من الحجر المشهر باللونين الأبيض والأحمر ، تشتمل على ثلاثة طوابق يبلغ ارتفاعها من أرضية الشارع إلى قمته أربعون متراً ، تقوم فوق قاعدة مربعة بجدارها الجنوبي باب معقود يؤدي إلى داخلها . الطابق الأول منها مثنى الأضلاع ، فتح فى أحد أضلاعه شرفة واحد فقط بدلاً من أربع ، يعلوه طابق ثان مثنى الأضلاع أيضاً يزينه زخارف متعرجة نقشت بالحجر المشهر فى صفوف أفقية متوازية ، يرتفع فوقه طابق ثالث يشتمل على ثمانية أعمدة رخامية رشيقة يعلوها خوذة منقوشة . ويفصل بين طوابق المئذنة ثلاث شرفات ذات ستة عشر ضلعاً من الحجر المفرغ بأشكال هندسية ونباتية ، ترتكز على صفوف من المقرنصات . وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بفك وإعادة بناء هذه المئذنة فى سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، كما أنشأت داراً صغيرة بجوارها لتجميل المنطقة .

وتطل الواجهة الثانية للمدرسة الجنوبية الغربية على شارع الدحديرة وهي مشيدة بدورها من الحجر ويتوج أعلاها شرفات مسننة ، ويتخللها سبع دخلات رأسية غير متساوية الارتفاعات تحتوي على شبابيك مستطيلة مغطاة بمصبغات معدنية ، يعلو بعضها شبابيك معقودة يغطيها ستائر جصية مفرغة بأشكال هندسية ويعلو البعض الآخر شبابيك مستطيلة مغطاة أيضاً بمصبغات معدنية .

وتشتمل هذه الواجهة كذلك على سبعة حواصل يغلق عليها أبواب خشبية ويتقدمها سلم بعرض أربعة أمتار ونصف المتر يفضي إلى الرحبة التي تتقدم الباب الشمالي الغربي للجامع الطولوني ، كما يوجد بالضلع الجنوبي الغربي لقبة المدفن مزولة شمسية .

ويلاصق الضلع الجنوبي الشرقي للمدرسة جامع أحمد بن طولون. أما الضلع الشمالي الشرقي للمدرسة فهو ملاصق للدار الصغيرة التي أنشأتها لجنة حفظ الآثار العربية كما سبق ذكره .

هذا ويفضي المدخل الرئيسي للمدرسة بالواجهة الشمالية الغربية إلى داخل المبنى عن طريق دركاة مربعة يعلوها قبو متقاطع ، فرشت أرضيتها بالرخام المتعدد الألوان ، يتصدر جدارها الجنوبي الشرقي دخلة عميقة ذات أرضية مرتفعة مغطاه بنصف قبو متقاطع ، وفتح بجدارها الشمالي الشرقي بابان معقودان ، يؤدي الشمالي منهما إلى حجرة صغيرة ، والشرقي إلى دهليز مستطيل يتصل بدھليز آخر إلى الشرق منه ويفتح بالجدار الجنوبي الغربي للدركة بابان أيضاً يوصل الغربي منهما إلى حجرة مستطيلة تطل على شارع الخضيرى ، فى حين يؤدي الجنوبي إلى دهليز يفتح على الصحن الأوسط للمدرسة .

المدرسة من الداخل :

بنيت المدرسة وفق طراز الصحن والإيوانات، فهي تتكون من صحن أوسط مكشوف سماوي يحيط به أربعة إيوانات ، والصحن مستطيل الشكل تبلغ مقاييسه ٢١,١٨ × ١٧,١٢ متراً وهو مفروش بالرخام الملون بأشكال هندسية بديعة ، ويتوسطه فوارة مثمثة الأضلاع يقوم في كل ركن من أركانها عمود رخامي ، ويعلوها قبة فتح برقيبتها ثمانية شبابيك مستطيلة ، ويلتف حولها رفرف خشبي مشغول .

ويفتح على الصحن فى جوانبه الأربعة ستة عشر باباً معقوداً يعقود مدببة شكلت بصنجات رخامية بأسلوب الأبلق أى ببيضاء وسوداء على التوالي ، وهي تفضي إما إلى خلوي طلاب المدرسة أو إلى السطح أو إلى سلم مئذنتها ، وذلك باستثناء البابين المجاورين للإيوان الشمالي الشرقي الذي يفضي الشرقي منهما إلى دورة المياه ، والشمالي إلى دركاة المدخل . ويطل على الصحن أيضاً مجموعة من الشبابيك المغطاة بمصبغات معدنية ، وهي تفتح على مساكن طلاب المدرسة ، كما يتوج الواجهات العليا المحيطة به شرفات مسننة .

ويتعمد على الصحن أربعة إيوانات تفتح عليه بواسطة عقود مدببة ذات أرجل مقرنصة ، أكبرها إيوان القبلة الجنوبي الشرقي ، وهو مربع التخطيط وأرضيته مفروشة بالحجر الجيري ، يكتنفه من الجانبين سدلتان تطلان عليه بعقد مدبب ، كما يغطي كل منهما قبو مدبب . أما مربع الإيوان فيعلوه قبة من الآجر ، أعادت لجنة حفظ الآثار العربية تشييدها فى سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م ، وهي ذات رقبة أسطوانية فتح بها ثمان حنايا يتوسط كل منها نافذة من الجص المعشق بزجاج ملون ، وهي ترتفع فوق مناطق انتقال من مقرنصات خشبية متعددة الصفوف تنتهي بكرادي ذات سراويل ، ويتصدر الجدار الجنوبي الشرقي لهذا الإيوان محراب مجوف يتوجه عقد مدبب من صنع رخامية ذات لون أبيض وأسود على التوالي (أبلق) يرتكز على عمودين من الرخام البرتقالي اللون ، كما غشيت حنيته بوزرات رخامية متعددة الألوان ونقشت طاقيته بكتابات بخط الثلث المملوكي محفورة فى الرخام تشتمل على آية الكرسي ، ويكتنف المحراب من الجانبين لوحتان من الرخام بأعلى كل منهما رنك البقجة (شعار الجمدار) إحدى الوظائف التي كان يشغلها الأمير صرغتمش الناصري ، وبأسفل كل لوحة شريطان من الكتابات بخط الثلث نصهما : " مما عمل برسم المقر العالي السيفي الملكي الناصري صرغتمش أسبغ الله ظلاله " . واستخدم الرخام الملون أيضاً فى كسوة جدران هذا الإيوان إلى ارتفاع ما يقرب من ثلاثة أمتار ، يعلوها إزار خشبي كان به كتابات بخط الثلث لا وجود لها فى الوقت الحالي .

ويوجد إلى يمين المحراب منبر خشبي مدون عليه أسفل الجوسق النص التالي : " أنشأ هذا المنبر من فضل الله تعالى قيومجي أحمد كتحدا عزبان عمر الله سنة ١١١٨هـ " وهو يتألف من حشوات مجمعة رصت بأشكال هندسية بديعة ، ويتوج مدخله صف من شرفات على هيئة أوراق ثلاثية الشحومات يوجد أسفلها حشواتان بكل منهما كتابة بخط الثلث نصها فى العليا : " لا إله إلا الله محمد رسول الله حقاً " ونص السفلى : " عجلوا بالصلوات قبل الفوات وعجلوا بالتوبة قبل الموت " .

ويقع الإيوان الشمالي الغربي في مقابل إيوان القبلة وهو مماثل له من حيث الاتساع ، إلا أنه أقل عمقاً ، أرضيته مفروشة بالحجر ، وجدرانه مكسية بالرخام الملون ، ويعطوه سقف خشبي مسطح تتخلله ثمان مجموعات من المقرنصات الخشبية ، ويزين أسفله إزار خشبي ، ويوجد إلى الشمال من هذا الإيوان حجرة مستطيلة مغطاة بدورها بسقف خشبي حافل بالنقوش والزخارف المتعددة الألوان ، وفي ركنه الغربي باب خشبي يقضي إلى قبة المدفن .

أما فيما يتعلق بالإيوانين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي فهما أقل عمقاً من الإيوانين السابقين ، وأرضيتهما مفروشة أيضاً ببلاطات حجرية ، كما يغطي كل منهما سقف من براطيم خشبية ذات مربوعات منقوشة بزخارف نباتية ، يليه إلى أسفل إزار خشبي به جامات ملونة ذات كتابات بخط الثلث المملوكي .

وتشغل قبة المدفن الركن الغربي من المدرسة ، ويتم الدخول إليها من الإيوان الشمالي الغربي ، وهي ذات مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ثمانية أمتار ونصف المتر ، أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر وجدرانها مكسية بوزرات رخامية ملونة ، يعطوها إزار خشبي يلتف حول جدرانها . كما فتح في أضلاعها الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي والجنوبي الشرقي ، حنية ضحلة معقودة بعقد مدبب ، يتوسط الجنوبية الشرقية منها محراب صغير يكتنفه عمودان من الرخام ، كما يتوسط الحنية الشمالية الشرقية الباب المؤدي إلى داخل هذه القبة من الإيوان الشمالي الغربي للمدرسة . أما الضلع الشمالي الغربي للقبة فيفتح على مساحة مستطيلة يسقفها ثلاثة أقبية متقاطعة ، ويغطي جزء من فتحته مقصورة من خشب الخرط .

ويعلو المدفن قبة من الآجر ترتكز على رقبة أسطوانية ، يحيط بها إفريز يحتوي على بحور بها كتابات قرآنية من آية الكرسي بخط الثلث يتخللها زخارف نباتية ، وهي ملساء من الخارج فتح فيها ثمان نوافذ غشيت بستائر جصية معشقة بزجاج ملون ، أما مناطق الانتقال فهي مكونة من خمسة صفوف من المقرنصات .

وهذه القبة تعتبر فريدة في نوعها بالنسبة لقباب مصر الإسلامية إذ تتألف من قبتين إحداها داخلية ذات قطاع نصف دائري ترتفع فوق رقبة متوسطة الارتفاع والأخرى خارجية ذات قطاع محدب تقوم على رقبة مرتفعة . وهي مشيدة على نمط قباب سمرقند ، ربما بسبب اهتمام الأمير صرغتمش بالفرس إذ يذكر المقرئزي أنه كان " يقرب العجم ويكرمهم ويجلهم إجلالاً زائداً " الأمر الذي انعكس بدوره على عمارة هذه المدرسة التي يغلب على بعض عناصرها المعمارية تأثيرات وسط آسيا التي نشاهدها بوضوح في طراز هذه القبة ، ولعله استعان بأحد مهندسي الفرس لبنائها . هذا ويتوسط أرضية هذه القبة تركيبة رخامية تعتبر نموذجاً راقياً لهذا النوع من التراكيب ، عليها كتابات بخط الثلث بالحفر البارز تشتمل على آية الكرسي يوجد أسفل منها قبر الأمير صرغتمش الذي مات في ذي الحجة سنة ٧٥٩ هـ / نوفمبر ١٣٥٨ م ، وقبر ابنه إبراهيم المتوفى سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م .

الموقع : تقع في نهاية شارع القلعة ، محمد علي سابقاً في مواجهة جامع الرفاعي من الناحية الشمالية الشرقية ، كما تطل بواجهتها الجنوبية الشرقية على ميدان صلاح الدين ، وبواجهتها الجنوبية الغربية على شارع المظفر ، وبواجهتها الشمالية الغربية على الحديقة المتحفية والبئر والساقية والحواصل والمطبخ والمطهرة وغيرها من الملحقات الخاصة بهذه المدرسة .

المنشئ : هو السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ولد في سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م وسُمي أولاً قماري ، ولما تولى حكم مصر اختار اسم حسن وعُرف به. تولى السلطنة في ١٤ رمضان سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م وعمره ثلاث عشرة سنة ولصغره ناب عنه الأمير بيغاروس نائب السلطنة في إدارة الدولة ، وعُين الأمير منجك اليوسفي في الوزارة والاستادارية .

وفي سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م أثبت القضاة بلوغه سن الرشد ، وقبض على الأميرين منجك وبيغاروس ، مما دعا الأمراء إلى إقصائه عن الملك في جمادي الآخرة سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م واعتقاله في الدور السلطانية وتعيين أخيه الصالح صالح.

في شوال سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م أعيد الناصر حسن إلى ملك مصر فاستبد بالملكة وصفت له الدنيا ولم يشاركه أحد في الحكم ، فبالغ في أسباب الطمع إلى سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م حيث تزايد سلطانه وكثرت ممالিকে.

ومن أجل تغير الجو في مصر خرج مع حاشيته إلى ضواحي الجيزة فأقام بها ثلاثة أشهر ، وفي هذه الفترة اشتدت الفتنة بينه وبين الأمير يلغا الخاصكي ، وحاول السلطان الفتك به فلم يوفق ، فهاجمه يلغا في القلعة فهرب السلطان حسن ، ثم قبض عليه ومن معه جهة المطرية وذلك في جمادي الأولى سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م ، وهنا يذكر المؤرخون أن هذا كان آخر العهد به ، وقيل أنه خُنق والقي به في البحر ولم يعرف له قبر .

ويذكر المقرئزي أنه دفن في مصطبة كان يركب عليها في داره بقلعة الكباش ، وقيل أيضاً أنه دفن بكيمان مصر وأخفي قبره .

ويذكر من خصاله أنه كان ملكاً حازماً شجاعاً منزهاً عن كثير من نقائص المماليك ، وكان ينفر منهم ويقرب غيرهم من أبناء الأسر ويعينهم في حاشيته .

تاريخ الإنشاء : بدأ في إنشائها السلطان الناصر حسن في سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م ، مكان قصرين أحدهما للأمير الطنبغا المارداني والآخر للأمير يلغا الحيواي ، وعني بها عناية شديدة " وأقامت العمارة فيها مدة ثلاث سنين لا تبطل يوماً واحداً ، وأرصد لمصروفها في كل يوم عشرون ألف درهم ، عنها نحو ألف مثال ذهب " . ونسب إلى الطواشي مقبل الشامي أنه قال : " وسمعت السلطان يقول : لولا أن يقال ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء الجامع من كثرة ما صرف عليه " .

وقد مات الناصر حسن سنة ٧٦٢هـ قبل الانتهاء من بعض اعمال الزخرفة والتكسيات الرخامية فأتمها بشير أغا الجمدار .

وقد وصفها المقرئزي بقوله : " فلا يعرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها " . وقد أجمع على هذا الرأي العديد من المؤرخين والرحالة العرب والأجانب فقد ذكر المؤرخ ابن تغري بردي " أن هذه المدرسة ومنذنتها وقبتها من عجائب الدنيا وهي أحسن بناء بني في الإسلام " . كما روي المؤرخ ابن شاهين الظاهري أنه " ليس لها نظير في الدنيا " . وقال عنها السلطان سليم الأول بعد الغزو العثماني لمصر في سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م " هذا حصار عظيم " . ووصفها الورثياني الرحالة المغربي الذي زار مصر في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بقوله " إنه مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء ونباهته وارتفاعه وإحكامه ، واتساع حناياه وسعة أبوابه كأنه جبال منحوتة تصفق الرياح في أيام الشتاء بأبوابه كما تفعل في شواهد الجبال " . وقال عنها ايبريس " أن كل ما نراه في الجامع مركب في مكانه تركيباً هادئاً منسجماً ، فإذا أمعنت النظر في زخارف إيوان القبلة وقبة القبر جزء جزء ، أحسست إحساس الرضا ، فهناك ثروة فنية وأشكال رشيقة بارعة " . وكتب عنها المصور لينوار ما نصه : " أن جامع السلطان حسن المملوكي يشرف على القاهرة كلها ، وأسلوب بنائه من أرقى الأساليب المعمارية ومساحته عظيمة ، ولذا يُعد أجمل جامع في الشرق كله بلا نزاع " . أما أرثر رونية فقد ذكر " أن العبقرية هي التي أتاحت لصاحبها السيطرة على الأشكال التقليدية أو الهندسية فبث فيها روحاً من عنده ، فكل زخرفة في جامع السلطان حسن طابع خاص تمتاز به عن سواها من زخارف الأبنية الأخرى " .

وهذا في الواقع قليل من كثير مما قيل عن هذه المدرسة ونجده مفصلاً في بحث للمستشرق الفرنسي جاستون فيت عن مدرسة السلطان حسن التي نعتت بالجامع عند أغلب المؤرخين والرحالة مع أن وثيقة الوقف الخاصة بها نصت صراحة على أنها مدرسة لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة ، ويشهد بذلك أيضا جميع النقوش التذكارية المسجلة بداخلها .

وقد روعي في هذه المدرسة متانة البناء ، فهي كالمعابد القديمة تتحدى الزمن وينطبق عليها ما تخيله شاعر عربي من أن الزمن هو الذي يقاوم قوة هذه المباني الضخمة . ولا ريب في أن هذا البناء العالمي الشهرة ، والعظيم القيمة رمز لمجد الإسلام وقوته وعظمته .

التخطيط العام والوصف المعماري :

من الخارج : تضم هذه المدرسة مجموعة من العناصر المتميزة والمتكاملة في جسم واحد ، وتبلغ مساحتها الكلية ٧٩٠٦ مترا مربعا ، وأقصى طول لها مائة وخمسون مترا وأقصى عرض لها ثمانية وستون مترا ، وبضلعها الشمالي والجنوبي إزوارر بسيط . وهي ذات واجهات أربع مشيدة بالحجر الجيري ، أهمها الواجهة الشمالية الشرقية التي يبلغ طولها مائة وخمسة وأربعون مترا ، يتوج أعلاها شراريف على هيئة أوراق نباتية ثلاثية يليها إلى أسفل كورنيش يتألف من ستة صفوف من مقرنصات دقيقة تبدو أشبه بعش النحل ، يعقبها إلى أسفل اثنتا عشرة دخلة رأسية تحتوى على نوافذ غشيت بمصبغات من نحاس مسبوك يعلو كل منها ثلاثة صفوف من المقرنصات ، النوافذ الشرقية منها تشير إلى مساكن المدرسة الشافعية ، والشمالية تشير إلى مساكن المدرسة المالكية.

أما كتلة المدخل فهي تقع بالطرف الشمالي من هذه الواجهة ، وهو مدخل تذكاري ضخم ارتفاعه سبعة وثلاثون مترا ونصف المتر وعرضه عشرون مترا يتقدمه صدف أو بسطة رخامية يحيط بها من أعلى دروة من الرخام يتخللها قوائم ذات رؤوس رخامية مكورة (بابات) ، ومزودة بسلال مزدوجة تفضي إلى المدخل الذي يزين جانبيه زخارف متنوعة كان مزمعاً تليسه بالرخام ، إلا أن مقتل السلطان حسن حال دون ذلك ، وتقع فتحة باب الدخول التي يبلغ اتساعها اثني عشر مترا داخل دخلة عميقة معقودة مليئة بالمقرنصات لا نظير لها في عمار مصر الإسلامية ويكتنف جانبيه حنيتان متوجتان بمقرنصات غشيت برخام أخضر بأشكال هندسية بدیعة ، كتب أعلاها بخط كوفي مزهر قوله تعالى : " إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله " ، ويعلوها تربيتان نقش على إحدهما بالخط الكوفي المربع الشهادة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وعلى الأخرى أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة " أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي " .

وكان يغلق على فتحة المدخل مصراعان من الخشب المصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب ، بهما زخارف هندسية وشريط من كتابات بخط الثلث تتضمن تاريخ صناعته في سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م، نصها " أمر بإنشاء هذا الباب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان الشهيد أبو المعالي حسن بن مولانا السلطان الشهيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك في سنة أربع وستين وسبعمئة " . ويفهم من المصادر المملوكية أن السلطان المؤيد شيخ ابتاع هذا الباب مع التنور النحاسي لجامعه داخل باب زويلة ، إذ يروي المقرئزي أنه لما شرع السلطان المؤيد شيخ في عمارة الجامع بجوار باب زويلة ، اشترى هذا الباب النحاس والتنور النحاس الذي كان معلقاً هناك بخمسائة دينار ، ونقل في يوم الخميس سابع عشرين شوال سنة تسع عشرة وثمانمئة فركب الباب على البوابة وعلق التنور تجاه المحراب .

وكان يعلو هذا المدخل منارة سقطت في سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م وفقاً لما ذكره المقرئزي الذي قال : " وكان السلطان قد عزم على أن يبني أربعة منابر يؤذن عليها ، فتمت ثلاث منابر ، إلى أن كان يوم السبت السادس شهر ربيع الآخر سنة اثنين وستين وسبعمئة فسقطت المنارة التي على الباب ، فهلك تحتها نحو ثلثمائة نفس من الأيتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل الذي هناك ، ومن غير الأيتام ، وسلم من الأيتام ستة أطفال ، فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها ، وتأخر هناك منارتان هما قائمتان إلى اليوم . ولما سقطت المنارة المذكورة لهجت عامة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة ... فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوماً " .

ويبلغ طول الواجهة الجنوبية الشرقية ثمانية وستين متراً ، وتضم كل من الواجهة الجنوبية الشرقية لقبة المدفن التي يعلوها صف من الشرافات وكورنيش من المقرنصات ويتخللها دخلتان رأسيان بكل منهما نافذة علوية قندلية أسفل منها نافذة مستطيلة ، كما تضم كذلك الواجهة الجنوبية الشرقية لإيوان القبلة الذي يكتنفه مئذنتا المدرسة ، الجنوبية منهما هي الأقدم ، ويبلغ ارتفاعها عن أرضية صحن المدرسة واحداً وثمانين متراً ونصف المتر ، والشرقية أقل ارتفاعاً ومستحدثة في عمارة إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م بعد أن

سقطت في عام ١٠٧٠هـ/١٦٥٩م ، على نمط المئذنة الجنوبية التي تتميز بقاعدتها المربعة ذات الزوايا المشطوفة ، يعلوها طابق مثنى به أربع دخلات ضيقة معقودة ذات عمد صغيرة يقابلها أربع مضاهيات ، يعلوه شرفة ترتكز على ثلاثة صفوف من المقرنصات وتلتف حول طابق علوي ينتهي بشرفة أخرى تلتف بدورها حول ثمانية أعمدة يعلوها عقود مفصصة يقوم فوقها جوسق المئذنة .

أما الواجهة الجنوبية الغربية فيبلغ طولها مائة وخمسون متراً ، وهي تشتمل بدورها على مجموعة من الدخلات الرأسية تحتوى نوافذ المدرسة الحنفية جنوباً ، ونوافذ المدرسة الحنبلية غرباً .

من الداخل : يفضي الباب الرئيسي للمدرسة في الطرف الشمالي إلى دركاه مربعة أشبه بمدرسة صغيرة ذات تخطيط متعامد ، يشتمل على صحن أوسط يعلوه قبة مكسية بالحجر الأحمر ، يشغل أركانها صفوف من المقرنصات الحجرية ، ويتعامد عليه أربعة إيوانات مغطاة بمقرنصات بالشمال منها فتحة المدخل ، وبالجانب مصطبة غشى صدرها برخام ملون ، وبالشرفى سلم من خمس درجات يؤدي إلى دهليز معقود ينكسر مرتين قبل أن يفضي إلى داخل الصحن .

وصحن المدرسة الرئيسي سماوي مكشوف مستطيل الشكل تبلغ أبعاده ٣٠ × ٣٤,٣٠م بمسطح إجمالي قدره ألف ومائة متر مربع ، أرضيته مفروشة بالرخام الملون ، ويتوسطه فسقية مئذنة الشكل كانت تستمد مياهها من البئر التي تقع في الجهة الغربية من المدرسة ، يعلوها قبة خشبية تقوم على ثمانية أعمدة ، كتب بدائر القبة آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها في سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م ، كما تحمل أيضاً تاريخ آخر عمارة أجريت بها في سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م ، فتح في رقبته ثمان قنديات بسيطة يغشيها ستائر مفرغة بأشكال هندسية .

ويتعامد على الصحن أربعة إيوانات ، أكبرها إيوان القبلة الجنوبي الشرقي ويتألف من مساحة مغطاة بقبو مدبب ، يصل عمقه اثنين وثلاثين متراً ونصف المتر ، وسعة فتحة عقده تسعة عشر متراً ، يروي المقرني أنه " انصرف على القالب الذي بني عليه عقد هذا الإيوان مائة ألف درهم نفرة ، وهذا القالب مما رمي على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور " كما أضاف أيضاً أن " ذرع هذا الإيوان ... خمسة وستون ذراعاً في مثلها ... وأنه أكبر من إيوان كسرى بالمندان من العراق بخمسة أذرع " . ويحيط بهذا الإيوان من أعلى إزار من الجص به كتابات قرآنية من سورة الفتح نقش بالخط الكوفي فوق أرضية من الزخارف النباتية المتشابكة ، يعلوها بصدر الإيوان قنديلان يتوسطها قمرية ذات زخارف هندسية ، كما غشيت جدرانها بالرخام الملون بأشكال هندسية بديعة ، ويتوسطه دكة المبلغ وهي من الرخام يحيط بأعلاها دروة تزdan ببابات كروية الشكل ، ترتفع فوق ثمانية أعمدة وثلاث دعامات رخامية ، يلتفت النظر إليها تلبس عمد النواصي بالرخام الملون .

ويتوسط صدر الإيوان محراب على غرار المحاريب المملوكية ، يحيط به من أعلى إزار من الكتابات القرآنية من سورة البقرة ، نقش باللون الذهبي ، ويعلوه عقدين متداخلين من صنج رخامية ملونة ومعشقة ، ويكتنفه أربعة أعمدة ، وتزدان طاقيته بخطوط متعرجة ملونة ، أما بدن حنيتها فيكسوه وزرات رخامية متعددة الألوان ، يزين بعضها نقوش نباتية مورقة يتخللها عناقيد عنب .

وعلى جانبي المحراب لوحتان نقش عليهما النص التالي : " جدد هذا المكان المبارك حسن أغا خزیندار الوزير إبراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢هـ/١٦٧١م " ، كما يوجد إلى يمين المحراب منبر من الرخام " لا نظير له " به باب من مصراعين من الخشب المصفح بالنحاس المفرغ بأطباق نجمية ، يعلوه صفان من المقرنصات ، فوقها شرافات على هيئة أوراق نباتية ثلاثية .

ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى قبة المدفن التي تقع خلف إيوان القبلة ، الجنوبي منهما مصفح بالنحاس المكفت بالذهب وعليه اسم السلطان حسن ، وهو من عمل دمشق في سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م ، أما الشرقي ففقدت كسوته ، وهو يفضي إلى داخل القبة ، وهي مساحة مربعة طول ضلعها واحد وعشرون متراً ، وجدرانها مؤزرة بالرخام ، وبالجانب الشمالي الغربي منها تربيعة كبيرة ملبسة بالرخام الملون ، ويتصدر جدارها الجنوبي الشرقي محراب مغشى بالرخام يشتمل على زخارف دقيقة ، ويحيط بقاعدة القبة إزار خشبي به كتابات بخط الثلث المملوكي ملونة ومذهبة تشتمل على آية الكرسي وعبارة تاريخية نصها " ... وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في شهور سنة أربع وستين وسبعمئة وصلى الله على محمد " ، يقطعها أربعة رنوك كتابية باسم السلطان حسن ، ويشغل مناطق الانتقال مقرنصات خشبية من ستة صفوف يزينها زخارف ملونة ومذهبة ، يعلوها قبة ارتفاعها ثمانية وأربعون متراً كانت في بادئ الأمر من الخشب المجلد بالتذهيب والألوان من الداخل ، ويغطيها من الخارج كسوة من الرصاص كما هو الحال بالنسبة لقبة الإمام الشافعي ، ويفهم من وصف الرحالة بيترودي لآفالليه الذي سجله في سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م ، أنها كانت على طراز القباب السمرقندية ، وكان باطنها حافل بالنقوش

، إلا أنها سقطت في سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦١م وفقاً لرواية بريس دافن ، فجدد القبة الحالية إبراهيم باشا في سنة ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م ، على طراز قبة الأشرف خليل بن قلاوون بشارع الخليفة ، وهي محاطة بدعامات أسطوانية الشكل من الخارج .

ويتوسط القبة من الداخل تركيبة من الرخام تضم شاهداً به سبعة أسطر من كتابات بخط الثلث نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم / كل من عليها فان / أمر بإنشاء هذا الضريح المبارك / برسم تربة السلطان السعيد الشهيد / الملك الناصر حسن وذريته تغدهم / الله برحمته أجمعين في العشر الأول من شهر / ذي القعدة الحرام سنة ست وثمانين وسبعمائة". يحيط بها مقصورة من خشب الخرط. غير أن السلطان حسن لم يدفن فيها ، لأنه لم يعرف له قبر ، بل دفن فيها ولديه الشهاب أحمد المتوفى في ١٤ جمادي الآخرة سنة ٧٨٨هـ / ١٣ يوليو ١٣٨٦م وإسماعيل المتوفى سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م .

وتشتمل هذه القاعة أيضاً على كرسي مصحف من الخشب المطعم بالسن والأبنوس ، تشتمل حشواته على أطباق نجمية ووحدات هندسية دقت بالأويمة الدقيقة ، يعتبر من أبداع وأقدم الأمثلة التي وصلتنا من كراسي المصاحف في عمارة مصر الإسلامية .

أما فيما يتعلق بباقي الإيوانات الثلاث المتعامدة على الصحن فجميعها شبه متساوية المساحة ومغطاة بأقبية حجرية مدببة ، وتطل على الصحن بعقود مدببة وكانت فيما مضى مؤزرة برخام ملون على شاكلة إيوان القبلة الشرقي ، لم يعد له وجود في الوقت الحاضر .

ويوجد بزوايا الصحن مداخل أربعة مكسية بالرخام تفضي إلى داخل المدارس الفقهية الأربعة الفرعية الملحقة بهذا البناء ، يعلو كل مدخل منها لوحة رخامية تشتمل على سطرين مكررين من الكتابات بخط الثلث نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان المرحوم الشهيد الملك الناصر حسن بن مولانا السلطان المرحوم الشهيد الناصر محمد بن قلاوون وذلك في شهور أربع وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية ". كما يوجد على جانبي كل مدخل آيات قرآنية ، تختلف من باب إلى آخر من سورة المائدة أو سورة الحجر أو سورة التوبة . ويكتنف كذلك كل مدخل من أسفل مكسلتان من الرخام قليلة الارتفاع .

وتؤدي هذه المداخل إلى مدارس لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة والتفسير والحديث النبوي الشريف ، والقراءات السبع ، وهي ذات تخطيط متشابه وإن اختلفت من حيث المساحة ، إذ تشتمل على صحن صغير سماوي تتوسطه فسقية مثمثة الأضلاع ، ملحق به من الجهة الجنوبية الشرقية إيوان صغير معقود بقبو مدبب يتصدره محراب صغير غقل من الزخرفة ، ويزين أعلاه إزار من الجص به كتابات كوفية على أرضية نباتية على نمط إيوان القبلة ، بقي اثنان منها أحدهم في المدرسة المالكية بالزاوية الشمالية والآخر بالمدرسة الحنفية بالزاوية الجنوبية ، هذا بالإضافة إلى بيوت للطلاب تشرف على صحن المدرسة الرئيسي وعلى الواجهتين الطوليتين - كما سبق ذكره - وزعت على ستة مستويات فوق بعضها البعض ، يفهم من المصادر التاريخية أنها كانت تقارب المائتين ، وزودت بدورات للمياه في مكان مركزي بكل مدرسة بالطابق الأرضي بجوار السلم .

وتعد المدرسة الحنفية أكبر هذه المدارس الفرعية إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨ متراً ، ويحيط بأعلى إيوانها الشرقي طرازاً من الجص به كتابات كوفية تشتمل على نصوص قرآنية من سورة الحجر ، ونص تاريخي يشير إلى البناء الذي قام بتشيد هذه المدرسة نقرأ فيه " ... كتبة تحمو دولته وشاد عمارته محمد بن بيلبك المحسني".

وجدير بالذكر أن اغتيال السلطان حسن في سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م حال دون اكتمال بقية الأعمال بهذه المدرسة ، فأتم أغلبها بشير أغا الجمدار - كما سبق ذكره - كأعمال الرخام بالوزرات والأرضيات التي يغلب عليها البساطة ، وكذلك الكسوة الرخامية لأبواب المدارس بأركان الصحن التي تحمل تاريخ سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ، كما قام بعمل الأبواب المصفحة بالانحاس ، كالباب الرئيسي الذي نقل إلى مسجد المؤيد شيخ داخل باب زويلة الذي نقرأ عليه تاريخ نفس السنة ، وأيضاً القبة ، التي أتم بناؤها وكتب بطرازها الخشبي تاريخ الفراغ منها في سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ، ولا ننسى أيضاً القبة الخشبية التي تعلو الفوارة بوسط الصحن التي تحمل بدورها تاريخ سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م .

بيد أن قيام بشير أغا الجمدار بكل هذه الأعمال لا يعني على الإطلاق عدم قيام السلطان حسن بافتتاح هذه المدرسة قبل مقتله ، فقد أشارت المصادر التاريخية إلى قيامه بصلاة الجمعة فيها قبل مقتله ، وإلى إنعامه على البنائين والمهندسين والفعلة الذي منح كل واحد منهم عشرة دنانير . كما حررها لها وقفية مؤرخة في شهر رجب سنة ٧٦٠هـ / يونيو ١٣٥٩م قرر فيها لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخاً ومائة طالب ، وثلاثة معيدين . ورتب مدرساً لكتاب الله تعالى أي تفسيره ، ورتب معه ثلاثين طالباً . ورتب مدرساً للحديث الشريف

وثلاثين طالبا يحضرون كل يوم ، وعهد إلى بعضهم أيضا بالقيام بوظيفة النقيب ، وإلى البعض الآخر القيام بوظيفة داع للسلطان عقب الدرس . ورتب بإيوان القبلة بالمدرسة ميعاداً ورتب لله شيخاً متصديراً عالماً مفتياً مشهوراً بالديانة ، ورتب معه مقرئاً أهلاً للقراءة ، على أن الشيخ والمقرئ يحضران بها أربعة أيام من كل أسبوع منها يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة ، فيقرأ المقرئ ما تيسر من القرآن ، وما تيسر من الحديث النبوي الشريف والأدكار . ورتب مادحاً يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدرسة بعد الفراغ من القراءة ثم يدعو للسلطان حسن ولوالديه وجميع المسلمين .

ورتب مقرئاً حافظاً لكتاب الله تعالى عالماً بالقراءات السبع على أن يجلس بين صلاة الصبح والزوال بإيوان القبلة . ومقرئاً حافظاً لكتب الله تعالى لتلقي القرآن العظيم بنفس الإيوان ، وأيضاً يلقي من يحضر عنده لتلقي القرآن . ورتب إماماً بالإيوان الكبير أي إيوان القبلة ، وأربعة أئمة حافظين لكتاب الله تعالى بالمدارس الأربعة التي بالمدرسة . ورتب مؤقتين عالمين بالموافيت ، واثنين وثلاثين رجلاً مؤذنين ، أصحاب أصوات حسنة مرتفعة . ورتب ستين من القراء يتناوبون القراءة بالقبلة ليلاً ونهاراً ، وجعل عليهم لضبط غيبتهم نقيباً بالليل ، ونقيباً بالنهار . ورتب اثنين يقرآن بالمصحف في إيوان القبلة ، ورجلاً يحمل المصحف الشريف من مكانه ويضعه على الكرسي للقراءة في كل يوم بعد صلاة الصبح وقبل صلاة الجمعة ، ويعيده إلى موضعه بعد فراغ القراءة . وخازناً لكتب الوقف ، وعشرة لخدمة القبلة وحفظها من أهل الفساد ، ورجلين لخدمة المزملة وحفظ أوانيتها وتنظيفها وملء الكيزان ، وسقي من يرد إليهما ، وعشرين فراشاً ، كل عشرة في يوم ، اثنين للقبلة، وثلاثاً للمدرسة ، ولكل مدرسة من الأربع واحداً ، والعاشر رئيس عليهم . ورتب ستة بوابين للحفظ وغلق الأبواب وفتحها ، وجعل فيها مكتبين بمؤدبين وعريفين ، ومائة يتعلمون القرآن والخط ، ويشترى ما يلزم للأطفال من الحصر والألوان والمحابر والأقلام ، مع نقل ما يلزم من الماء لشربهم وغسل ألواحهم ، وشرط أن من بلغ من الأيتام يستبدل بغيره ، ورتب طبيبين مسلمين ، أحدهما خبير بمعالجة الأبدان ، والآخر عارف بصناعة الكحل ، يحضر كل منهما كل يوم بالمدرسة ليداوي من يحتاج من أرباب الوظائف والطلبة وغيرهم ، ورتب معهما جراحاً .

ورتب أيضاً عدد آخر من الموظفين كناظر الوقف ، ومستوف حساب بالأوقاف ، وشاهدين ، وعاملاً برسم كتابة الحساب ، وشاهداً لتحصيل مصالح الوقف واستخراج ما يحتاج استخراجاً ، وأميناً لحفظ المرتبات ، وصيرفياً ، وسطوحياً لحفظ أسطح المدرسة . ورتب ثمانية كنس المراحيض والطرق والرحاب والرش أمام المدرسة ، وشخصين كنس محل الطهارة وتنظيفه بنحو الغسيل .

وقام كذلك بفرش المدرسة وعلق بها العديد من وسائل الإضاءة من الثريات والتناير والمشكاوات الزجاجية المموهة بالمينا المتعددة الألوان التي وصلنا منها تسع عشرة مشكاة محفوظة حالياً بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

ومن المعروف أن مدرسة السلطان حسن تعرضت للعديد من المحن بسبب وقوعها أمام قلعة الجبل ، حيث كان يلجأ إليها بعض المماليك للتحصن بداخلها وللرمي من فوق سطحها بالمدافع على أعدائهم بقلعة الجبل ، مما اضطر بعض السلاطين إلى القيام بهدم السلم الموصل إلى سطحها ، وإلى سد وغلق بابها الرئيسي ، كما فعل السلطان الظاهر برفوق في سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م ، وكما فعل السلطان أبو سعيد جقمق عندما قام في سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م ، بهدم السلاسل الموصلة إلى منارتها . وتم أيضاً سد بابها مرة ثانية في سنة ١٤١٩هـ / ١٧٣٦م لمدة إحدى وخمسين سنة حتى قام سليم أغا مستحفظان بإصلاح المدرسة وفتح بابها في سنة ١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م ، وأزال الدكاكين التي أحدثت أسفلها وبنى لها السلاسل والصدفة أو البسطة الحالية.

كذلك أولت لجنة حفظ الآثار العربية جل عنايتها إلى هذه المدرسة وأصلحت منارتها وجدرانها ورخامها ونجاريتها ولم تتركها حتى أعادت إليها رونقها وجمالها في منتصف عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م تحت إشراف المهندس الكبير هرتس باشا كبير مهندسيها، وصاحب الفضل في ترميم وتعمير الكثير من آثار مصر الإسلامية .

وقام أيضاً المجلس الأعلى للآثار بعملية ترميم شاملة لجميع أنحاء هذه المدرسة انتهت في عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، كما منع مرور السيارات أمام واجهتها الشمالية الشرقية ، وحول الطريق الفاصل بينها وبين مسجد الرفاعي إلى مدرج صاعد حفظاً على هذا الأثر الهام الذي قال عنه المرحوم حسن عبد الوهاب " إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها فإن لمصر الإسلامية أن تتباهى بعجباً بمدرسة السلطان حسن التي لا يعادلها بناء آخر في الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها " .

أسس تصميم العنائر في العصر المملوكي البحري:

المباني الدينية :

اعتمد تصميم المسقط الأفقي على الاتجاه للداخل ، ووجد طرازان سائدان لتصميم المباني الدينية في هذه الفترة .

الطراز الأول : هو طراز الصحن والظلات.

والطراز الثاني : هو الطراز الإيواني حيث الصحن الذي تتعاند عليه الإيوانات.

أما الطراز الأول نجد فيه أن المسجد عبارة عن صحن أوسط مكشوف سماوي تحيط به أربع ظلات أكبرها وأعمقها ظلة القبلة التي يتوسط صدرها محراب مزخرف عبارة عن حنية نصف دائرية مزخرفة وإلى جانبه منبر . ومن أمثلة هذا الطراز جامع الظاهر ببيرس وجامع الناصر محمد بالقلعة .

وقد ميزت المداخل ببروز كتلتها عن سمت الواجهة ، وهي تشبه في ذلك المساجد الفاطمية كمسجد الحاكم بأمر الله مثلما نجد في مسجد الظاهر ببيرس ، وتوجد المئذنة فوق المدخل الرئيسي كما هو الحال في جامع الظاهر ببيرس وجامع الناصر محمد بالقلعة .

استخدمت في الإنشاء عقود حدوة الفرس والعقود المدببة والأعمدة الرخامية والجرانيتية المأخوذة من مبانٍ قديمة كما في جامع الناصر محمد بالقلعة . كما استخدمت الأحجار الجيرية في الإنشاء إلى جانب الحجر في بعض الأجزاء . استخدمت الأخشاب في الأسقف مثل سقف الناصر محمد .

اتسم تشكيل الواجهات بالبساطة والصدق في التعبير عن مواد الإنشاء ، ويظهر هذا في واجهات جامع الظاهر ببيرس ، وعكس استخدام مواد بناء من البيئة ارتباطاً بها ، ورغبة في أن يطول عمر المبنى ليدوم ذكر المنشئ ويستمر له الثواب .

وعلى عكس الواجهات الخارجية التي اتسمت بالبساطة نجد غنى في التعبير الداخلي باستخدام الزخارف المتعددة والمواد المختلفة خاصة في جدار القبلة والمحراب والأسقف .

والطراز الثاني والذي يعتمد على الإيوانات الأربعة حول الصحن الأوسط المكشوف السماوي فقد ظهر في بداية هذا العصر بمدرسة الظاهر ببيرس بشارع المعز والتي ما زالت بعض بقاياها موجودة ، واستمر هذا النمط مثلما نجده في مدرسة قلاوون ومدرسة السلطان حسن أي أن هذا النمط كان مستخدماً ومفضلاً في بناء المدارس .

استخدمت الأقبية في تسقيف الإيوانات مثلما نجد في مدرسة السلطان حسن ، وأحياناً استخدمت أسقف خشبية ملونة مثل مدرسة أم السلطان شعبان .

واستخدمت المداخل التذكارية البارزة التي تقع في دخلات رأسية مرتفعة يتوجها عقد ملئ بالمقرنصات ويتوسطها فتحة باب الدخول وعلى جانبيه مكسلتان تعلوهما عضادتان مثل مدرسة السلطان حسن ، ووضعت المئذنة بحيث تؤكد المدخل الرئيسي كما في مدرسة صرغتمش ومدرسة السلطان حسن التي سقطت حالياً .

هناك فصل بين الفراغ الخارجي والفراغ الداخلي بواسطة الدركاة التي تلي المدخل وكذلك الممر المنكسر وهو ما يؤدي إلى توفير الهدوء الداخلي بعيداً عن ضوضاء الخارج ويحقق الخصوصية المطلوبة للمكان.

بنيت الواجهات وفق نظام المشهر (مداميك بيضاء وحمراء أو صفراء بالتبادل) ونظام الأبلق (مداميك بيضاء وسمراء بالتبادل) وزخرفت بالدخلات الرأسية المعقودة التي تحتوي على فتحات الشبائيك والنوافذ للإضاءة والتهوية ، كما احتوت الواجهات على شريط كتابي بخط الثلث المملوكي والذي يسجل النصب التأسيسي للمنشأة ، كما هو الحال بمجموعة قلاوون بشارع المعز .

عكست الواجهات التصميم الداخلي بحيث يمكن تمييز واجهة المدفن عن واجهة المدرسة وإيوان القبلة عن بقية الإيوانات . كما استخدمت مواد البناء البيئية من الأحجار في الحوائط وأحياناً الحجر في الأقبية والأخشاب في الأسقف .

ارتبط بناء مدفن المنشئ الذي تعلوه قبة بالمدرسة ، وانتشر بناء القباب الضريحية في هذا العصر استمراراً لما كان سائداً من قبل ، وكانت هذه المدافن عبارة عن حجرة مربعة يتصدرها محراب جهة القبلة الجنوبية الشرقية ، تعلوها منطقة الانتقال التي كانت حنايا ركنية ثم تحولت إلى المقرنصات ، والتي تحول المربع إلى مثن ثم رقبة القبة الدائرية ، وتتوج بالخوذة والتي أخذت غالباً شكل العقد المدبب.

المباني المدنية :

المباني العامة : عرف هذا العصر العديد من المباني الخدمية العامة منها الوكالات والأسبلة والبيمارستانات ، ولم يتبق من مباني هذا العصر ما يمكن دراسته والتوصل إلى أسس تصميمية له إلا بقايا بيمارستان قلاوون .

البيمارستان : عمل البيمارستان كمستشفى للعلاج ومدرسة لتعليم الطب ، حيث أشارت وثيقة البناء لقاعات المناقشات العلمية بين الطلبة والأطباء وقاعات إلقاء الدروس .

واعتمد تصميم البيمارستان على المسقط المنفتح على الداخل حيث الوحدات تدور حول أفنية داخلية تختلف مساحاتها تبعاً لوظيفة الوحدة . كما قام على مبدأ الفصل بين الجنسين في الأقسام العلاجية .

وقد احتوى البيمارستان على وحدات معمارية مخصصة لمعظم الأمراض المعروفة وقتها وحتى الأمراض النفسية والعصبية (أمراض العقول) وعلى وحدة استقبال خارجية وصيدلية وغيرها من الوحدات الخدمية إضافة لغرف العزل للأمراض المعدية .

المباني السكنية : راعى المصمم توفير الخصوصية اللازمة للسكن والمستمدة من القيم الإسلامية وذلك بالانفتاح إلى الداخل حول الصحن واستخدام المدخل المنكسر الذي يفصل بين الفراغ الخارجي والداخلي .

واحتوى الطابق الأرضي عادة على المدخل المنكسر وحواصل واسطبل وطاحونة إضافة إلى غرف الخدم والتخبتوش والقاعة الأرضية (المنظرة) وهي الوحدة المخصصة لاستقبال الضيوف مثل قصر بشتاك وقصر آين آق الحسامي ، وتتكون هذه القاعة عادة من درقاعة وإيوانين أو أكثر .

أما الطوابق العليا فكانت تحتوي على قاعات وخزائن نومية ومرافق. وروعي في التصميم الفصل بين الرجال والنساء مع الاستفادة من الظروف المناخية وتوجيه القاعات للاستفادة من الهواء صيفاً إضافة لاستخدام المشربيات والتي لها دور في المعالجة المناخية ، وأيضاً تعمل على تأكيد الخصوصية مثلما نجد في قصر بشتاك .

استخدمت الأحجار الجيرية في الطابق الأرضي والواجهات الخارجية وفي الأقبية ، بينما استخدم الآجر في الأدوار العليا ، واستخدم الخشب في الأسقف وفي المشربيات كما كسيت جدران وأرضيات القاعات بالرخام . والمواد المستخدمة كلها مواد طبيعية من البيئة تساعد على العزل الحراري وتوفر مناخ داخلي لطيف ، وجعلت الفتحات المظلة على الخارج ضيقة في الواجهات تأكيداً على الخصوصية ومراعاة لحقوق الجار.